فتحى حسين عامر

جرائم الأسرة

بداية الانهيار



جرائم الأسرة .. بداية الانهيار



- مركز الحضارة العربية مؤسسة ثقافية مستقلة، تستهدف المشاركة فى استنهاض وتأكيد الانتماء والوعى القومى والعربى، فى إطار المشروع الحضارى العربى المستقل.
- يتطلع مركز الحضارة العربية إلى التعاون والتبادل الثقافى والعلمى مع مختلف المؤسسات الثقافية والعلمية ومراكز البحث والدراسات، والتفاعل مع كل الرؤى والاجتهادات المختلفة.
- يسعى المركز من أجل تشجيع إنتاج المفكرين والباحثين والكتاب العربى ونشره وتوزيعه.
- يرحب المركز بأية اقتراحات أو مساهمات إيجابية تساعد على تحقيق أهدافه.
- الآراء الواردة بالإصدارات تعبر عن آراء كاتبيها، ولا تعبر بالضرورة عن آراء أو اتجاهات يتبناها مركز الحضارة العربية

◆ ◆ ◆

◆ ◆ ◆

مركز الحضارة العربية

٤ ش العلمين - عمارات الأوقاف
ميدان الكيت كات - القاهرة
تليفاكس : 3448368 (00202)

http:www.alhdara-alarabia.com

Email: alhdara_alarabia@yahoo.com
alhdara_alarabia@hotmail.com

فتحى حسين عامر

جرائم الأسرة .. بداية الانهيار!



الكتاب : جرائم الأسرة .. بداية الانهيار!

الكاتب : فتحي حسين عامر

(مصر)

الناشر : مركز الحضارة العربية

الطبعة العربية الأولى: القاهرة 2006

رقم الإيداع : 2006/15774

الترقيم الدولى : I.S.B.N. 977-291-768-8

الغلاف

لوحة الغلاف:

تصميم وجرافيك: ناهد عبد الفتاح

الجمع والصف الإلكترونى

وحدة الصف بالمركز

تنفيذ : سيد حرزاوى

تصحيح : عثمان العجمى

عامر، فتحى حسين أحمد

جرائم الأسرة.. بداية الانهيار/ فتحى حسين أحمد عامر . - ط ١ ـ القاهرة: مركز الحضارة العربية للإعلام والنشر والدراسات، ٢٠٠٦.

١٢٠ ص؛ ٢٠ سم.

تدمك ٨ - ٧٦٨ - ٢٩١ - ٩٧٧

١ -الأسرة - تأثيرها على الجرائم

أ - العنوان

٣٦٢,٢٥٣

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الروم: ٢١).

صدق الله العظيم

إهداء

إلى كل أسرة تبتغي الهدوء والسكينة، وكل بيت آمن ومستقر يبحث عن السلام والمستقبل المشرق وسعادة الدارين الدنيا والآخرة..

مقدمة

يقول الله عز وجل فى كتابه الحكيم: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾. (الشمس الآيات/ ٧ -١٠).

فى هذه الآيات حدد لنا الشارع الحكيم سبحانه وتعالى أساس الظاهرة الإجرامية فى المجتمع الإنسانى كله منذ ظهور الإنسان على وجه الأرض إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فالنفس البشرية بداخلها عناصر الخير إلى جانب عناصر الشر والجريمة. والجريمة ليست وليدة الساعة أو منذ قرون بعيدة من الزمن ولكنها وجدت منذ انبثاق فجر المدنية أى أنه عندما وجد المجتمع وجدت معه الجريمة، وكانت الجريمة التى أراق فيها قابيل دم أخيه هابيل أصدق مثال على هذا الكلام، فهى بحق أول جريمة عرفتها البشرية.

يرويها لنا القرآن الكريم، كما فى قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٢٧) لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (٢٨) إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (٢٩) فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾. (سورة المائدة الآيات/ ٢٧ -٣٠).

والجريمة ظاهرة اجتماعية عالمية لا يكاد يخلو منها أى مجتمع إنسانى، وهى تتنوع من حيث طبيعتها وأشكالها وأنواعها ومن حيث الأساليب المستخدمة فى ممارستها- من مجتمع إلى آخر - ومن وقت

إلى آخر تبعًا لتنوع الظروف والأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وغيرها. والجريمة ظاهرة اجتماعية مرتبطة تمام الارتباط بوجود المجتمع وذلك عندما شعر الأفراد بحاجتهم إلى الانضمام والتعاون فيما بينهم من أجل تحقيق مصالحهم وإشباع احتياجاتهم المتزايدة، وأصبح لزامًا عليهم الكشف عن بعض نزعاتهم الفردية، وتطلب الأمر أن يتدخل المجتمع فيجرم تلك الأفعال التى تحقق رغبات فردية ولكنها تتعارض فى الوقت ذاته مع مصلحة المجتمع لذلك ففكرة التجريم قد عاصرت الإنسانية منذ أول عهدها، ومع ذلك فإن الأفعال المجرمة والجزاء الذى يترتب على ارتكابها كان يختلف باختلاف المجتمعات والأزمنة. وعالم اليوم يعيش فى متناقضات غريبة، فهناك تباين واضح فى المستوى المعيشى بين الدول بعضها وبعض، وكذلك بين الأفراد داخل الدولة الواحدة، وتتسع هذه الفجوة عامًا بعد عام لذلك فإن وجود مجتمع بلا جريمة يعد حلمًا يستحيل تحقيقه على الإطلاق، فقد وجدت الجريمة فى مجتمع الفضيلة عند أصحاب نظرية العقد الاجتماعى فى تطور الفكر السياسى وستبقى إلى الأبد ما بقى الخير والشر والحياة. وعلى الرغم من استخدام المجتمع الإنسانى أساليب وطرقًا مختلفة لمحاربة الجريمة أو منعها، والوقاية منها، ولكنها كانت أساليب وطرقًا ساذجة بسيطة ويقوم معظمها على أسس ميثولوجية «أسطورية» أو معتقدات دينية أو جزاءات اجتماعية تختلف مع الخلق الإنسانى القويم ومقتضيات العقل السليم، ولكن فى ظل الثورة التكنولوجية الهائلة التى نعيشها مع بداية الألفية الثالثة فلم يعد لص اليوم يكتفى بمهاراته فى السرقة فقط وإنما أصبح يستخدم أحدث الأجهزة الإلكترونية والوسائل العلمية فى ارتكاب الجريمة، وعلى الجانب الآخر لا يقف رجل الأمن مكتوف اليدين أمام هذا التطور الكبير فى أساليب الجريمة.. فقط صار على رجل الأمن مواكبة كل جديد فى عالم التكنولوجيا حتى يتحقق له الهدف، وهو

إفساد أي جريمة وإلقاء القبض على مرتكبيها. والأصل اللغوى لكلمة «الجريمة» أو «الجُرم» فهى تعد فى اللغة بمعنى واحد وهو: التعدى أو الذنب، والجمع: أجرام، وجروم، وقد جرم يجرمه، وإجرام وأجرمه، فهو مجرم وجريم، ويقال: تجرّم علىّ فلان، أى ادعى ذنبًا لم أفعله وجرم إليهم وعليهم جريمة. وأجرم: جنى جناية، وجرم إذا عظم جرمه أى أذنب، والجرم: مصدر الجارم الذى يجرم نفسه وفلان له جريمة إلىّ، أى جرم، والجارم: الجانى، والمجرم: المذنب. والصحافة كنشاط اجتماعى ينظم سلوكيات المنتمين إليها داخل جماعتهم المهنية وفى المجتمع ومن حولهم الذى يؤثر فيهم ويتأثر بهم، وهذا السلوك الإنسانى الذى تأتيه فئة معينة داخل المجتمع ينتج عنه - شأنه شأن أى سلوك آخر - ثلاثة أشياء: علاقات يشتبك فيها الصحفيون، وظائف يقومون بها كى يستمر هذا النشاط الاجتماعى، وقيم تلتزم بها كى يستمر العنصران الأولان بكفاءة بحيث تضمن لنفسها المكانة والاحترام داخل المجتمع. حيث تزداد درجة الاعتماد على الصحافة فى ظل عدم الاستقرار الاجتماعى أو الصراع أو الأزمات الطارئة، مما يخلق معانى وتفسيرات لتلك الأحداث، وفى هذه الحالة تصبح الصحافة ووسائل الإعلام أساس النظام المعلوماتى للجمهور، ولأن الصحافة هى النافذة التى يطل منها الرأى العام على الواقع الاجتماعى السائد فى مجتمع ما، فالجريمة تعكس قلب المجتمع وبالتالى لا بد من عدم تضييق وتقييد حرية الصحافة فى التعرض لأخبار الجريمة، لأن هذا يعنى حرمان الرأى العام من التعرف على جانب مهم من النشاط الاجتماعى، حتى ولو كان هذا النشاط منحرفًا. ويظهر إليوت Elliot المسئولية الإعلامية من خلال ثلاث فئات هى: **مسئولية الإعلامى تجاه المجتمع العام** وذلك من خلال إتاحة المعلومات وعدم إلحاق الضرر بالآخرين، **ومسئولية الإعلامى تجاه المجتمع المحلى** وتعتمد على نشر ما يتوقعه الأفراد من المجتمع، وما

يتوقعه المجتمع من الأفراد وأخبار الناس بما يحقق حالهم الآنى والمستقبلى، **ومسئولية الإعلامى تجاه نفسه** وذلك من خلال أداء الرسالة الإعلامية بأقصى قدر من الدقة والأمانة والصدق والموضوعية لما يعتقد أنه صالح المجتمع.

تعريف الجريمة:

يتطور مفهوم الجريمة من زمن لآخر، ومن مجتمع لآخر فى الزمن الواحد، فما يُعتبر جريمة لدى مجتمع من المجتمعات قد لا يعتبر جريمة لدى مجتمع آخر، يعيش معه نفس العصر. والتعريف الشكلى للجريمة هو «الخروج على أوامر قانون العقوبات ونواهيه» ووفقًا للاتجاه الشخصى قيل: إن الجريمة هى كل تعبير خاطئ عن إرادة مخالفة للقانون ويقرر له القانون عقابًا. وتعرف أيضًا بأنها «سلوك إيجابى أو سلبى إنسانى يخالف نصًا من نصوص التجريم».

والجريمة بمعناها القانونى يراها بعض الباحثين بأنها: سلوك يخالف مرتكبه وهى قاعدة يتولى شق التكاليف فيها تحديد السلوك، فى حين يتولى شق الجزاء فيها ترتيب جزاء جنائى لمرتكب السلوك المذكور، وهذا كله إعمالا لمبدأ الشرعية، ومؤداه «لا جريمة ولا عقوبة إلا بناء على قاعدة جنائية صادرة من السلطة المختصة دستوريًا بإصدارها، لهذا فالجريمة تعنى كائنًا قانونيًا خلقته قاعدة قانونية، ويُعرِّفها البعض الآخر على أنها: الفعل الذى يقع بالمخالفة لقانون العقوبات. ويفرق أحد الفقهاء بين تعريف الجريمة من الناحية القانونية وتعريفها من الناحية الواقعية، حيث يرى أن الجريمة من الناحية القانونية «فعل يعاقب عليه المجتمع ممثلا فى شرعه، لما ينطوى عليه هذا الفعل من المساس بشرط يعده المجتمع من الشروط الأساسية لكيانه أو من الظروف المكملة لهذه الشروط»، بينما الجريمة من الناحية الواقعية فهى «إشباع لغريزة

إنسـانيـة بطريقـة شـاذة لا يسلكهـا الرجل العـادى حيث يشـبـع الغـريزة نفسها، وذلك لأحوال نفسية شاذة انتابت مرتكب الجريمة لحظة ارتكابها بالذات».

وفى مـجال علم الاجتمـاع والأنثـروبولوجيا هناك من يربط بين الفـعل الإجرامى وانتهاك القوانين، فيعرفها فرانك راسل. Frank. R. Prassel بأنها «أى فعل يؤدى إلى انتهاك القـانون ومعاقبـة صاحبه من قبل الدول» وفى هذا الإطار ينبغـى الإشـارة إلى أن التعـريفـات التى تحـاول أن تصـور الجـريمة على أنهـا مجـرد مـخالفـة للقانون واجهت العـديد من الانتقـادات مثل:

- أن الجـريمـة لا توجد فـى مجتمعات متطورة فـقط، بل توجد كـذلك فى مـجـتـمـعـات ليس لها نظـام أسـاسـى مكتوب كـالمجـتـمـعـات البـدائيـة والمجـتـمـعـات المتخلفـة التى تحكمـهـا العـادات والتـقـاليـد وتخلو كليـة من قوانين مكتوبة تشرف عليها هيئة رسمية محددة.

وأن تحـديد مـفـهوم الجـريمـة بأنهـا انتهـاك للقـانون، هو تحـديد غيـر مـقنـع، لأنه فى بعض الأحـيـان لا يـدرك واضـعـو القـوانيـن أو المشـرعـون أفعالا معينة قد تهدد البناء الاجتمـاعى أو قد يكون هنـاك أفعـال إجرامية لم ينتبـه إليهـا القـانون، وليس بالضـرورة أن يُنظـر إلـى القـانـون على أنه تعـبـيـر عن إرادة المجـتـمع، وعلى أنه يهـدف إلى حـمـايـة قـيم المجـتـمع ومعاييره الاجتماعية الأساسية، بل قد يكون القانون فى بعض الأحيان – مفصلا على نحو معين حتى يلائم أيديولوجيـة معينة أو شخصًا أو فئة قليلة من الناس، وبالتالى فإن اختراقه قد لا يشكل أذى للمجتمع ونتيجة لذلك فقد حاول البعض أن يعطى للجريمة مفهومًا يتفق أولا – وقبل كل شىء – مع جوهـرها ومـضـمـونهـا الاجتمـاعى لذلك أدخلوا فى تعـريفـهـا عناصـر اجتمـاعـيـة أو طبـيعـيـة بما يتـفق والآثار التى تتـرتب عليهـا فى مـحيط الجمـاعة، فـأنصار المدرسـة الوضـعيـة كان لهم الفـضل الأول فى

إبراز المفهوم الاجتماعى للجريمة وبلورته، فقد نادوا بأن الجريمة هى كل فعل ضار بمصالح الجماعة الأساسية، ولذلك فإن مناط تكشّف الفعل بأنه إجرامى من عدمه ليس النص التشريعى، وإنما مبادئ الأخلاق والقيم التى تسود الجماعة. والجريمة وفقًا للمفهوم الاجتماعى هى «كل فعل يخالف الشعور العام للجماعة» ويعنى ذلك أن مجرد مخالفة الفعل للشعور العام للجماعة يعد مبررًا كافيًا لخلع وصف الجريمة على هذا الفعل، وهى أيضا «كل فعل أو امتناع عن فعل يتعارض مع القيم الأخلاقية السائدة فى المجتمع» لذا فلا شك أن النظرية الاجتماعية للجريمة مهمة للغاية إذ توجه انتباه الشارع إلى الأفعال الجديرة بالتجريم، وتعين المفسر على تحديد علة التجريم والعقاب. وفكرة الجريمة الطبيعية أشد عداء للمجتمع وأجدر بالتغليظ من مرتكبى جرائم القانون الوضعى، ورغم ذلك فلم تسلم تعريفات الجريمة من الناحية الاجتماعية من الانتقادات كان أبرزها أن هذه التعريفات تنطوى على إهدار صارخ لمبدأ شرعية الجرائم والعقوبات الذى يعد من أهم ضمانات الحرية الفردية فى العصر الحديث.

وإذا نظرنا إلى مفهوم الجريمة فى الإسلام فسنجد معنيين: معنى عامًا، ومعنى خاصًا، والجريمة- طبقًا للمعنى العام- هى «فعل ما نهى الله عنه، وعصيان ما أمر الله به» أو بعبارة أعم «عصيان ما أمر الله به بحكم الشرع الشريف» ويتفق ذلك مع تعريف الفقهاء لها وذلك على أنها «إتيان فعل محرم معاقب على فعله أو ترك فعل محرم معاقب على تركه، وذلك لأن الله تعالى قرر عقابًا لكل مَن يخالف أوامره ونواهيه، وهو إما أن يكون عقابًا دنيويًا ينفذه الحكام، وإما أن يكون تكليفًا دينيًا يكفر به عما ارتكب فى جنب الله، وإما أن يكون عقابًا أخرويًا يتولى تنفيذه الحاكم الديان وهو خير الفاصلين، لذلك فالجريمة والإثم والخطيئة بمعنى واحد لأنها جميعًا تنتهى إلى أنها عصيان الله تعالى فيما أمر

ونهى، سواء أكان ذلك العصيان عقوبة دنيوية، أم أخروية، والتعريف الخاص بالجريمة من المنظور الإسلامى طبقًا للماوردى بأنها «محظورات شرعية أجر الله تعالى عليها بحدّ أو تعزير» فالحد هو العقوبة المقدرة ويدخل فيها القصاص والديات التى قدرها الشارع فى موضوعها المنصوص عليها بكتاب أو سنة نبوية وذلك لأن هذه العقوبات محددة ومقدورة.

تفسير السلوك الإجرامى:

التفكير فى ظاهرة الجريمة فى المجتمعات البشرية بدأ منذ البدايات الأولى لمعرفة تلك المجتمعات بها، والجريمة موضع تأمل ودراسة، وذلك على مستوى التفسير الميتافيزيقى الغيبى الذى لا يستند على أسس موضوعية ولا يعرف طرق البحث العلمى، ونجد أنه يفسر وجودها على أساس تأثير قوى سحرية غيبية أو أرواح شريرة تسيطر على الفرد على نحو ما وتجعله يسلك السلوك الإجرامى، ثم جاءت محاولات أولية من الفلاسفة القدماء، نلمس فيها آثار النظرة الغيبية فى تفسير الجريمة.

وتعد نظرة سقراط للجريمة وأسباب السلوك الإجرامى من أقدم هذه النظرات حيث يرى أن الجهل هو أساس الرذيلة وأساس السلوك الإجرامى، والعلم هو أساس الفضيلة والسلوك السوى، إلا أن هذه النظرة الغيبية فى تفسير السلوك الإجرامى لم تستمر طويلا، فقد انتقل التفكير فى ظاهرة الجريمة وتفسيرها إلى الأسلوب العلمى نتيجة لنمو العلوم المختلفة التى تبحث فى السلوك الإنسانى، وتأثير بعضها بالبعض الآخر.

ولقد حاول الباحثون استقصاء عوامل السلوك الإجرامى وذلك طمعًا فى معالجة تلك الظاهرة ووقاية المجتمعات البشرية من مخاطرها، حيث تعددت اتجاهات الباحثين فى هذا المجال. يمكن عرض أبرزها من خلال نظريتين:

الأولى: ترى أن عوامل السلوك الإجرامى تكمن بين عناصر البناء العضوى للإنسان المجرم، وهى تحاول تفسير السلوك الإجرامى بأنه أثر مباشر أو غير مباشر لتكوينات عضوية غير سوية، فهى تقوم ابتداء على افتراض أن الإنسان الأول الذى عاش على هذه الأرض فى الزمن الغابر، قد كان غير سوى فى طباعه ونزعاته وميوله، وهو افتراض باطل من ناحية العقل والمنطق.

الثانية: ترى تلك العوامل كامنة بين مكونات البناء النفسى لذلك الإنسان وتقوم على مذهبين: مذهب التحليل النفسى الذى نادى به «فرويد» والذى يرى أن لدى الإنسان ثلاثًا من القوى النفسية هى:

١ - **قوة الغرائز والنزعات الفطرية:** وهى تميل بالإنسان نحو الإشباع الكامل والمفرط لكافة الغرائز دون اعتبار ومراعاة للقيم والمثل والنظم، بل دون مراعاة للمنفعة الحقيقية التى يحققها ذلك الإشباع.

٢ - **قوة النفس الوسيطة:** التى تنمو مع نمو الإنسان وتعمل على التوفيق بين مطالب الغرائز والاحتياجات الحقيقية للشخص.

٣- **قوة النفس العليا:** وهى تمثل قمة الإدراك للحقيقة والمنفعة وهى تعمل على الحد من غلواء الغرائز، فتجعل السلوك موافقًا لمقتضيات الأخلاق والنظم، وهى ما يمكن تسميتها بالضمير. ويرى أصحاب هذا المذهب أن السلوك الإجرامى يحدث إذا تغلبت القوة الأولى على القوتين الأخريين، وقد نادى أصحاب هذا المذهب بعدم التصدى للغرائز بشدة خشية أن يفضى ذلك إلى الكبت، وبالتالى سلوك الجريمة، وأكدوا على الإباحة الجنسية بصفة خاصة عن طريق ما أسموه.. «الإعلاء»، ووفق المذهب الثانى- مذهب العوامل النفسية- فإن الانفعالات والعواطف هى محور التحريك نحو السلوك، وذلك لما تحدثه من اختلال فى التوازن الذى هو سائد فى الجسم، إذ تتعطل أجهزة التوجيه والإبصار أوالتبصر وتسيطر العاطفة أو الهوى فتقع الجريمة.

وبوجهة نقدية لهذه النظرية بشقيها، سوف يتبين أن الخط الذى سارت عليه فى تفسير السلوك الإجرامى هو خط يوافق ما ذهب إليه العلماء المسلمون، من أن الله- عز وجل- قد خلق فى الإنسان قوتين هما: قوة النفس، وقوة العقل، والحكيم هو الذى يجعل لعقله سلطانًا على نفسه، والجاهل الأحمق هو الذى يطلق لنفسه العنان، فتصل به إلى اقتراف الجريمة، إلا أن فكرة.. الإعلاء.. والتى دعت إليها تلك النظرية، تعد فكرة مرفوضة إسلاميًا إذ إنها دعوة ظاهرة إلى إباحة المحظورات، وذلك بإسباغ صفة الشرعية عليها ليتيسر اقترافها دون خوف بادعاء أن الكبت والحرمان هما بوابة الجريمة والأساس فى بناء النفس الميالة نحو الإجرام. وللدين الإسلامى نظرية فى تفسير السلوك الإجرامى تقوم على أصول علمية وعملية ويمكن على أساسها وضع الخطة الناجحة لمكافحته ومنعه، وهذه الأصول هى:

الأصل الأول: التأكيد على أن الأصل فى الإنسان هو الفطرة السوية، وتلك نقطة البداية فى دراسة السلوك الإنسانى من حيث أسبابه واتجاهاته، فهو يعنى أن الإنسان محمول أصلا على الخير ومفطور على الاستقامة وهذا الحكم مأخوذ من قول الرسول ﷺ.. «كل مولود يولد على الفطرة» والاستناد إلى هذا الأصل يدحض الافتراض القائل بوجود مجرمين بالميلاد، ويوجه السياسة الجنائية إلى الحفاظ على هذا الأصل فى الإنسان، والعمل على إبعاده عن العوامل التى قد تفسده ويؤكد على أن الإصلاح والتقويم أمر ممكن، وأن بذرة الخير تظل أصلا كامنًا فى كل نفس مهما علا خيرها وشرها..

الأصل الثانى: التأكيد على غريزة حب الذات ثم توظيفها. فالأصل فى الإنسان هو الميل الشديد نحو الإشباع المفرط لمطالب الذات، وهذا هو مقتضى قول الحق جل وعلا: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ أى أنه شديد الميل لكل ما يراه خيرًا لذاته، فكل سعى يسعاه الإنسان إنما هو

إشباع لمطامعه غير أن تلك المطامع قد صارت- حسب التصور الإسلامى- أبعد من الدنيا وأوسع منها وأنفع.

الأصل الثالث: الاستعداد للتأثر، ويعنى بذلك أن الإنسان مخلوق مزدوج الاستعداد، فهو فى طبيعة تكوينه مخلوق من عنصرين هما: طين الأرض، ونفخة الله فيه من روحه، فجاء لذلك مزودًا باستعدادات متساوية للخير والشر، والهدى والضلال، وذلك هو مقتضى قوله تعالى: ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ (سورة البلد/ ١٠). وإن كان ينبغى ضرورة التأكيد على أن ذلك لا يعنى بالضرورة التساوى التام بين الاستعدادين فى قوة النزع الخاص بكل منهما، بل قد يحصل تفاوت واضح فيهما من شخص لآخر، ليس ذلك فحسب، بل قد يتسع ذلك التفاوت أو يضيق فى الشخص الواحد من وقت لآخر، ولا شك أن هناك من العوامل ما يساعد على وجود ذلك التفاوت، وما يساعد على اتساعه أو ضيقه، ولعل من أبرز العوامل: عامل الوراثة، وعامل البيئة، وعامل الثقافة وغيرها. وفى حديث نبوى شريف قال رسول الله ﷺ: «من بلغ حدًا فى غير حدٍّ فهو من المعتدين».

والمجرم هو الشخص الذى ينتهك القانون الجنائى الذى تقرره السلطة التشريعية التى يعيش فى ظلها، وهو أيضا من أتى فعلاً عُد جريمة فى نظر القانون فلا يعتبر كذلك من أقدم على سلوك مستهجن لا يقره المجتمع مادام هذا السلوك لا يُوصف قانونًا بأنه جريمة.

وقد ذهب لومبروزو إلى وجود عدة طوائف أخرى من المجرمين وهى المجرم المجنون: وهو الشخص الذى يرتكب الجريمة تحت تأثير عاهة عقلية تسلبه إدراكه وتدفعه إلى الجريمة، دون أن يدرى مضمون الفعل الذى أتاه، ويُضاف إلى هذه الطائفة المجرم الهستيرى ومدمنو الخمور، وهناك المجرم الصرعى وهو المريض بنوبات الصرع وفيها تتوقف جميع مداركه الطبيعية، وهناك المجرم العاطفى ويتسم بشدة الحماس والغيرة أو

المتفانى فى الدفاع عن السمعة والشرف، ويتميز بشعور مرهف وحساسية مفرطة قد يترتب عليها اندفاعه وارتكابه إحدى الجرائم تحت تأثير ثورة نفسية بسبب طبيعته العاطفية، وهناك المجرم المعتاد وهذا النموذج يولد بدون استعداد إجرامى معين، ولكن ظروف بيئته تدفعه لأن يكون مجرمًا، وهناك المجرم بالصدفه وهم الفئة التى لا تسعى مطلقًا لمخالفة القانون بدافع غريزى ولكن لظروف طارئة تتدفع لارتكاب الجريمة.

وقد اهتم علماء المدرسة الوضعية - وخاصة الطبيب الإيطالى «لومبروزو» فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر - بالصفات الخاصة بالشخصية الإجرامية، حيث انتهى «لومبروزو» فى كتابه بعنوان: «الإنسان المجرم» إلى أن المجرم له صفات خلقية تختلف فى مضمونها عن الإنسان السوى، فشكل الجمجمة والفم والأسنان لها صفات غريبة، كذلك حجم المخ وشكله يكون فى الإنسان المجرم أقرب إلى الإنسان الأول والمخلوقات الدنيا، وهذا حتمًا يؤدى به لارتكاب الجريمة. فقد لاحظ عند تشريح جثث المجرمين عدم انتظام شكل الجمجمة وضيق الجبهة وضخامة الفكين وبروز عظام الوجنتين، وشذوذ وعدم انتظام الأسنان، وكبر أو صغر الأذنين وبروزهما فى الرأس بصورة تحاكى أذنى القرود، إلى جانب إمكانية تشويهات العينين وفرطحة أو اعوجاج فى الأنف، وغزارة شعر الرأس والجسم، وكثرة التجاعيد فى البشرة وزيادة عدد الأصابع إلى جانب طول غير طبيعى فى الذراعين والرجلين، إلى جانب صفات نفسية تميزه عن غيره أهمها ضعف الإحساس بالألم حيث وُجد كثير من الوشم على أجسام المجرمين، إلى جانب الغرور والاندفاع فى التصرف وسهولة الإثارة وانعدام الخجل والشعور بالشفقة، وكل هذه الصفات تؤكد أن المجرم إنسان مطبوع بالإجرام ومدفوع إليه بغريزته أو كما أطلق عليه أنديكو فيرى «مجرم بالميلاد».

نشر الجريمة ما بين التأييد والمعارضة:

إشكالية نشر الجرائم فى الصحف قد شغلت كثيرًا من العلماء والباحثين على اختلاف تخصصاتهم، وإن كان يلاحظ أنها تصب جميعًا فى تيارين رئيسيين تفصلهما اختلافات جذرية أولهما ينادى بالتوسع فى نشر هذه الأخبار، بينما الثانى يرى تضييق نطاقه وتقييده، بل يذهب بعض المغالين من أصحاب هذا الرأى إلى المناداة بحظر نشر مثل هذه الأخبار أو الأنباء.

ومبررات التيار الأول المؤيد للنشر هى:

١ - إن الصحافة هى النافذة التى يطل منها الرأى العام على الواقع الاجتماعى السائد فى مجتمع ما، فالجريمة تعكس قلب المجتمع، ومعنى تقييد حرية الصحافة فى التعرض لأخبار الجريمة، أن نسحب عن الرأى العام جانبًا مهمًا من النشاط الاجتماعى، حتى ولو كان هذا النشاط منحرفًا.

٢ - وإن النشر عن الجرائم يدخل فى إطار حرية التعبير، وتتجلى أهميته فى تبصير الشعب وحكامه بما يجرى فى المجتمع لإعمال حقه فى المراقبة والتصحيح، وعدم النشر يعد نوعًا من إظهار المجتمع كما لو كان أنه ليس به جريمة، وهذا شأن الصحف فى الأنظمة الشمولية.

٣ - النشر عن الجرائم يعد رادعًا لمرتكبيها لأنه يعمل عمل النذير بأن الجريمة لا تفيد.

٤ - وإن النشر عن الجريمة يهيئ الفرصة لتلافى أسبابها واتخاذ الإجراءات التى تحول دون تكرار حدوثها.

٥ - النشر عن أساليب المجرمين وطرقهم يذكر القارئ بقواعد الاحتياط والحذر الواجبة.

٦ - النشر عن الجرائم قد يشجع العلماء والمتخصصين فى المجالات المختلفة لدراسة الجريمة، وطرح الممارسات العملية التى تساعد فى حلها.

٧ - النشر عن الجريمة يلبى حاجة فى أعماق النفس الإنسانية للتشفى من مرتكبى الجرائم ويطمئن الرأى العام على جهود رجال الأمن وسير العدالة.

٨ - حظر نشر الجرائم يهيئ الفرصة لكثرة الشائعات والتأويلات مما يؤثر فى سلامة البنيان الاجتماعى ويعرضه للخطر.

وتنتمى إلى هذا التيار الصحافة الأمريكية بمختلف قطاعاتها، فهى ترى أن من حقها أن تنشر ما تشاء عن المتهم، وماضيه الإجرامى وحياته الخاصة سواء فى شكل صور ووثائق حتى بعد صدور الحكم فى القضية.

بينما مبررات التيار المعارض للنشر هى:

١ - إن التوسع فى نشر الجرائم بلا ضوابط يسهم فى تفجير الطاقات العدوانية عند من لديهم أدنى استعداد لممارسة الجريمة.

٢ - إن كثير من صور النشر التى تجنح إلى المبالغة أو التشويه، قد تفسد سير العدالة الجنائية، وتسىء إلى قيمة الأعمال والإجراءات التى يترتب عليها الحكم.

٣ - إن إفساح المجال للنشر عن الجرائم دون قيود، قد يعطى انطباعًا سيئًا عن تزايد معدلات الجريمة وانتشارها فى المجتمع بخلاف الواقع الفعلى.

٤ - إن إباحة النشر عن الجرائم دون ضوابط قد يؤدى إلى تعظيم شأن المجرم، وإظهاره بمظهر البطل الذى حير رجال الأمن، واسترعى انتباه العامة والخاصة، الأمر الذى يشجع النشء على تقليده بهدف كسب بطولة زائفة أو شهرة كاذبة.

٥ - إن النشر عن الجرائم بلا ضوابط عن أساليب الجريمة وأخطاء المجرمين، كما يفيد رجال الأمن فى تعقب المجرمين وضبطهم، فهو يحقق استفادة مماثلة للمجرمين من أخطاء غيرهم وتلافيها.

٦ – إن النشر عن الجرائم يعرض من لديهم استعداد للتأثر لمخاوف وهمية هائلة وأزمات نفسية قد يترتب عليها اضطرابات نفسية، وأحيانًا عقلية.

٧ – نشر أسماء المتهمين قبل أن يتحدد موقفهم يسىء إليهم وإلى سمعتهم وإلى ذويهم.

٨ – إن النشر بلا ضوابط قد يدفع محرر الجريمة فى سعيه لتحقيق سبق صحفى- إلى عدم الالتزام بالأصول والاعتبارات القانونية فى مراعاة حق المتهمين، وافتراض براءتهم حتى يثبت العكس.

٩- إن إفراد الصحف لمساحات كبيرة لنشر أخبار الجرائم، وتخصيص مواقع متميزة لها فى صدر صفحاتها، يعد استخفافًا بعقول القراء.

١٠- إن الصحف كثيرًا ما تنشر أخبار الجريمة مكتفية بمجرد عرض وقائعها، دون أن يتعدى ذلك إلى إخضاع هذه الوقائع للتحليل الدقيق للتعرف على أبعادها المختلفة حتى يمكن الاستفادة منها.

رأى الإسلام فى نشر الجريمة:

التوجه الإسلامى إزاء عملية النشر يتمثل فى أن الشريعة الإسلامية لا تسمح بالنشر إلا إذا ثبتت الجريمة، فلا تجيز نشر الجريمة إلا مقترنة بالعقوبة المقررة لها.

فقد بدأ الله عز وجل- سورة النور بذكر قوله تعالى: ﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (سورة النور/١)، ثم أعقب ذلك مباشرة بإباحة حق نشر تنفيذ العقوبة، وليس الحديث عن الجريمة والنشر عنها - فقد أوجب عقاب الزانية والزانى بالجلد، وأوجب أن يشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ثم تقرير عقوبة شديدة على الذين يرمون المحصنات وهن عفيفات، فجعلها ثمانين جلدة مع إسقاط اعتبارهم فلا تقبل شهادتهم مع الوصم بالفسق، والواقع أن مجرد القذف دون أن يكون بيد القاذف الدليل، وفى هذه الحالة يوجب العقاب

حتى لا يسهل القذف فى حق المؤمنات، وحتى لا تشيع الفاحشة، ولكن الدليل صعب، فهو أربعة شهداء، بل يجب فى هذه الحالة إقامة الحد، فالجماعة المسلمة قد لا تخسر بالسكوت عند تهمة غير محققة كما تخسر بشيوع الاتهام والتراخيص فيه وعدم التحرج من الإذاعة به.

وفى القرآن الكريم إشارات واضحة الدلالة فى عملية نشر الأنباء من قبل أن توجد الصحافة وتتمثل فى ضرورة مراعاة الدقة «التبين» حتى لا يضار أحد نتيجة لأى تحريف متعمد أو غير متعمد، وضرورة رد الأمور إلى ذوى الاختصاص للاستيثاق من صحة الأنباء وجعل الكذب وترديده والإفاضة فيه من أكبر الكبائر، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا ﴾ (الإسراء/٣٦).

والشريعة الإسلامية تحجب النشر إذا كان من شأنه إشاعة الفاحشة فى المجتمع الإسلامى وذلك تحقيقًا لقوله تعالى: ﴿ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ﴾ (النساء/١٤٨). فهذه الآية لا تعطى الحق فى النشر فى هذه الحالة إلا فى حق من زاد ضرره وعظم خطره، حتى لو كانت هذه القبائح قد حدثت بالفعل، وهناك العديد من آيات الذكر الحكيم التى تناولت موضوع نشر الجريمة تؤكد على أن الدين الإسلامى لا يمنع نشر الجريمة منعًا مطلقًا، فقد روى لنا القرآن الكريم خبر أول جريمة قتل فى الوجود جاءت فى قوله عز وجل: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٢٧) لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (٢٨) إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (٢٩) فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٣٠) فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾ (المائدة/٢٧-٣١).

وهـذا مصداقًا لقوله عز وجل: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ (سورة النور/١٩).

كما أنه إذا رأت الصحافة ضرورة نشر أخبار الجنس فلا بد أن يكون بأسلوب جاد يشرح الجريمة وأسباب وقوعها ومسبباتها، بجانب إبراز دوافع الشر وراء هذه الجريمة بأسلوب بعيد عن التفاصيل الدقيقة لها، وتجنب اللجوء إلى الاستعانة بالألفاظ التى تجرح الذوق العام وتتنافى مع الأخلاق والقيم والآداب العامة. والالتزام بهذا السلوك أيضًا عند التحدث عن المشاعر التى تربط بين الجنسين فى حدودها النظيفة كما أقرها الإسلام فى قصة سيدنا موسى عليه السلام مع ابنة سيدنا شعيب عليه السلام كما جاءت فى القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (٢٣) فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (٢٤) فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢٥) قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ (٢٦) قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (سورة القصص/ ٢٣-٢٧).

كما عالج الإسلام جرائم الفاحشة بدون إثارة أو إفساد أو اللجوء إلى إثارة التلذذ بالجنس والمتعة بالمشاعر المنحرفة، بل جمال العرض ودقته وصراحته وفى الوقت نفسه يقدم نفورًا من هذا السلوك المنحرف والهبوط الجنسى كما فى قوله عز وجل فى قصة سيدنا يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز، يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن

نَفْسه وَغَلَّقَت الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٢٣) وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (٢٤) وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٥) قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٦) وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (سورة يوسف/ ٢٣-٢٧).

وهكذا فقد عالج القرآن الكريم فى قصة سيدنا يوسف عليه السلام هذه الواقعة التى كانت عبارة عن محاولة امرأة العزيز ارتكاب الزنا والفاحشة مع الشاب الجميل الأجير لديها ولدى زوجها، الذى كان يتمتع بجمال طبيعى ليس له مثيل، وذلك بأسلوب بليغ ومهذب وراقٍ ويبعد عن الإثارة والإفساد، وتجعل من يقرأها يتصورها كاملة أمام عينيه دون أن تحدث له أى إثارة جنسية أو إيقاظ لغرائزه، ولكن يفهمها ويدركها جيداً ويتدبرها على أكمل وجه ويتعلم منها.

بالإضافة إلى ذلك فقد جاءت مجموعة من الضوابط فى كتاب الله الكريم لكى تضبط عملية نشر الجريمة فى الإعلام وهى:-

١ - يحظر على الصحافة ذكر أسماء وعناوين المتهمين فى الجرائم المنشورة بها إلا بالنسبة لمن زاد خطره على أمن الدولة والمجتمع، فالشريعة لا تجيز الإفصاح عن هوية المتهمين - كما ذكرنا سابقًا - وقد تأكد ذلك فى قوله تعالى فى قصة سيدنا يوسف مع إخوته: ﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ (٨) اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ (٩) قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾ (سورة يوسف/ ٧-١٠).

فالصحيفة تحولت إلى وسيلة اتهام وتشهير للمتهم دون مراعاة وضعه كمتهم تحت قيد التحقيق.

٢- يحظر على الصحافة تحقير المتهمين عن طريق إطلاق أوصاف ذميمة وألفاظ غير ملائمة وتعبيرات ركيكة مثل (السَّفاح، القاتل)، وفى الوقت نفسه ينبغى على الصحافة عدم تمجيد المتهمين أيضًا باستخدام كلمات أو عبارات معينة مثل (زعيم العصابة أو الإمبراطور أو أستاذ الإجرام) حيث تؤثر مثل هذه العبارات على الشباب والأطفال بما يجعل هؤلاء فى نظرهم قدوة سيئة تدفعهم إلى محاكاتهم.

٣- كما يجب على الصحافة الانحياز إلى جانب المجتمع فى الحق وأن تكون ضد الاجرام بحيث تثير كراهية الناس ضد المجرمين لأن الأعمال الاجرامية والمنحرفة والغير سوية تمثل فى حد ذاتها عدوانًا ضد المجتمع برمته.

٤- ضرورة أن تلتزم الصحافة العدالة الكاملة فى نشر أخبار الجريمة وعدم الانحياز لأحد طرفى القضية، وأن تنشر دفاع المتهم عن نفسه إلى جانب نشرها للاتهام حتى لا يؤثر ذلك على سير التحقيقات والعدالة.

بالإضافة إلى عدم نشر أخبار الجريمة فى صفحاتها الأولى أو تخصيص مساحات واسعة لها حتى لا يؤدى ذلك إلى انتشار الجريمة فى المجتمع.

وتتمثل أيضًا أبرز الأخلاقيات فى الإسلام فى التثبت من الأنباء وتجنب إيذاء الناس وحماية أسرار الأسرة والأعراض، وعدم تصديق الشائعات، والعدل فى النظرة إلى مختلف الأمور، والقول الحسن المهذب.

ماهية الأسرة

تعتبر الأسرة من أهم الجماعات الإنسانية وأعظمها تأثيرًا فى حياة الأفراد والجماعات، فهى الوحدة البنائية الأساسية التى تنشأ عن طريقها مختلف التجمعات الاجتماعية.. وهى التى تقوم بالدور الأساسى والرئيسى فى بناء صرح المجتمع وتدعيم وحدته وتنظيم سلوك أفراده بما يتلاءم مع الأدوار الاجتماعية المحددة وفقًا للنمط الحضارى العام.

وفى عصور تاريخية قديمة ما قبل الميلاد توالت تنظيمات وتجمعات إنسانية إلا أن أهم هذه التجمعات والتنظيمات هى الأسرة، ذلك النظام الذى تعارفنا عليه جميعًا وقبلناه وارتضيناه لأنه ليس له بديل أفضل حتى لو رأيناه يفشل وينهار وينتهى. فوجود الإنسان يعنى- ضمن ما يعنى- أنه يعيش فى تجمع منظم من بنى جنسه، حيث إنه من المتعذر - إن لم يكن من المستحيل - أن يعيش الإنسان وحيدًا.

وعندما ننظر إلى قاموس علم الاجتماع نجد أن الأسرة الإنسانية تعرف بأنها - جماعة اجتماعية بيولوجية نظامية تتكون من رجل وامرأة تقوم بينهما رابطة زواجية مقررة وأبنائهما... ومن أهم الوظائف التى تقوم بها هذه الجماعة إشباع الحاجات العاطفية وممارسة العلاقات الجنسية وتهيئة المناخ الاجتماعى والثقافى الملائم لرعاية وتنشئة وتوجيه الأبناء.

وفى معجم علم الاجتماع الأسرة هى: جماعة من الأفراد يربطهم الزواج والدم أو التبنى يؤلفون بيتا واحدًا ويتفاعلون سويًا ولكلّ دوره المحدد كزوج أو زوجة، أب وأم، أخ وأخت، مكونين ثقافة مشتركة وهو

ما لا يختلف عما قدمه معجم العلوم الاجتماعية حيث يرى أن الأسرة هى: الزوج والزوجة وأولادهما ماداموا فى كنف الأسرة.

ويعرف معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية الأسرة على أنها: الوحدة الاجتماعية الأولى التى تهدف إلى المحافظة على النوع الإنسانى، وتقوم على المقتضيات التى يرتضيها العقل الجمعى والقواعد التى تقررها الجماعات المختلفة.

الموسوعة البريطانية تعرف الأسرة بأنها: جماعة من الأفراد المتحدين سواء من خلال رابطة الزواج أو الدم أو التعود لها رئيس واحد، وهذا لا يمنع وجود تفاعل بين أطرافها، وهذا التفاعل يتم داخل مفهوم المكانة الاجتماعية لأفراد الأسرة سواء أكان زوجًا أو زوجة، أمًا وأبًا، أخًا وأختًا، ابنًا وابنة.

وفى قاموس وبستر فى طبعته عام ١٩٩٢ فقد حدد الأسرة فى ثمانى نقاط هى:-

١- مجموعة الأفراد الذين يعيشون تحت سقف بيت واحد.

٢- مجموعة من الأفراد يرجعون إلى سلالة مشتركة.

٣- مجموعة من الأفراد يتحدون فى الإيمان لمجموعة مبادئ.

٤- مجموعة من الأشياء المتحدة فى مجموعة خصائص:

(أ) ذات عناصر تكوينية (كيميائية) شديدة التقارب.

(ب) ذات تقارب من حيث الخصائص الشكلية.

(جـ) مجموعة لغات تتحدر من أصل لغوى واحد.

٥ - الوحدة الأساسية فى المجتمع والتى تتكون فى العادة من الوالدين وأولادهما، وقد تكون الأسرة ذات عائل واحد.

٦- تطلق الأسرة على مجموعة من النباتات أو الحيوانات ذات الأصل الواحد.

٧- مجموعة المنتجات التى تختلف معادلاتها فقط فى المقاييس.

٨- وحدة للجريمة المنظمة تعمل داخل نطاق جغرافى مثل المافيا Mafia .

والإجرام الأسرى هو تلك الأنماط الحديثة التى تتنوع إليها الظاهرة الإجرامية داخل النطاق الأسرى الواحد، بسبب ما يستجد فى الحياة الاجتماعية من ظروف وما يطرأ عليها من متغيرات تترك آثارها فى الجريمة، فتغير من شكلها ومن وسائل إتمامها.

والجريمة فى الإسلام تعرف على أنها «فعل ما نهى الله عنه وعصيان ما أمر الله به»، أو بعبارة أعم «عصيان ما أمر الله به بحكم الشرع الشريف».

وسوف نعرض فى الأجزاء التالية عددًا من الحوادث والجرائم الأسرية التى نشرتها الصحف والمجلات المصرية، والتفسير العلمى لمسبباتها، وطرق الحد منها ومن خطورتها على المجتمع ونواحى التنمية فيه.

آباء وأمهات
تجردوا من الآدمية !

العين تدمع والقلب يتوجع والسماء تهتز وترتعد والأرض تتقلب يمينًا ويسارًا من كثرة ما يُرتكب على ظهرها من آثام وجرائم يندى لها الجبين.. وترتعش معها القلوب والأجساد، وتتوقف معها الألسنة، وتظل الكلمات فى الحلق تأبى الخروج منه معلنة حالة التذمر والعصيان.. وهى جرائم لا تتفق مع العقل والمنطق.. بدأت تظهر على استحياء منذ العقدين الأخيرين من القرن الماضى وانتشرت بصورة ملحوظة خلال السنوات الأخيرة وهى جرائم قتل الأمهات للأبناء أو قتل الآباء وتعذيبهم للأبناء حتى الموت.. أو قيام الوالدين بطرد الابن أو التخلص منه بأى صورة من الصور حتى يخلو لكل منهما الجو فى حياة كل منهما الخاصة، خاصة إذا كانا منفصلين عن بعضهما البعض..

وهذه هى بعض الجرائم الأسرية التى نشرتها الصحف والمجلات وكان لها تأثير كبير على القراء.

أب يعذب طفله حتى الموت !!

بدأت أحداث هذه المأساة عندما كانت هناك أسرة مكونة من خمسة أفراد الأب والأم وثلاثة أبناء، يعيشون فى هدوء وسكينة ويرضون بالمقسوم لهم فى هذه الحياة على الرغم من قلة الدخل المادى للأب الذى يعمل موظفًا فى إحدى شركات القطاع العام التى تتعرض للتآكل والخصخصة الآن، بينما الزوجة لا تعمل، والأبناء الثلاثة فى مراحل التعليم المختلفة، ومطالبهم المادية لا تتوقف على الإطلاق وزاد من الأمر سوءًا هو مرض ابنه الصغير (٥ سنوات) بداء الصرع.. مما يجعله - أى الطفل - فى بعض الأحيان يُصاب بحالة تبول وتبرز مستمرة وبصورة لا إرادية فكانت الخلافات بين الزوجين تثار وتزداد سوءًا لأتفه الأسباب بصورة مستمرة وطوال اليوم مما جعل الزوجة تطلب الطلاق والانفصال، بعد أن فاض بها الكيل، وتركت المنزل، فقام الزوج بتلبية طلبها وتطليقها وعاش مع أبنائه فى المنزل بعد أن هجرته الأم لكى تتزوج من آخر!

ثم قام الأب بالزواج من فتاة صغيرة السن، وقام بإحضارها إلى المنزل لكى تراعى أبناءه فى غيبته وحتى يعود من عمله، ولكنها لم تراع هذه الأمانة وظلت تعامل الأبناء بقسوة بالغة خاصة الطفل الصغير المريض بالصرع، والذى كانت تصدر منه سلوكيات تثير حفيظة الوالد وأشقائه والزوجة الجديدة بالطبع، فيقومون بضربه بالأحذية بسبب شقاوته الزائدة وتعذيبه بالأسلاك الكهربائية دون رحمة بمرضه.. وفى إحدى المرات عندما قررا «الأب والزوجة الجديدة» الخروج للتنزه وقضاء ليلة فى أحد الأماكن الترفيهية، وبعد عودتهم من الرحلة إلى البيت شاهد الأب ابنه المريض فى وضع تبول لا إرادى على سلم المنزل، فجن جنونه، وبدلا من أن يقوم باحتضانه ورعايته، قام بضربه ضربًا مبرحًا

باستخدام عصا غليظة كان قد أحضرها من قبل لتأديب ولده الصغير! وظل يضربه ويركله، والابن يصرخ ويستغيث بأشقائه الذين فروا هاربين إلى أماكن نومهم خوفًا من أن ينالهم ما نال شقيقهم من الضرب والتعذيب من قبل. والزوجة الصغيرة ظلت تضحك دون أن تحرك ساكنًا أو تطلب منه التوقف. وقبل أن ينتهى الأب من وصلات الضرب والتعذيب توقف الابن فجأة عن الكلام والصراخ والبكاء، وفقد القدرة على الكلام وأصيب بشلل جزئى فى أطراف قدميه وذراعيه.. وعندما شاهد الأب ذلك قام بنقله إلى المستشفى المجاورة للمنزل لمحاولة إسعافه، خاصة بعدما كان الابن يُخرج نزيفًا من فمه وأنفه، وقبل أن يصل الأب إلى المستشفى لفظ الطفل أنفاسه الأخيرة وتوفى، وصعدت روحه الطاهرة إلى السماء معلنة الانتهاء من عذاب الأب الذى مات قلبه منذ زمن بعيد، وقسوة زوجة الأب، وتخلص الأم من مسئوليتها لكى تتزوج من آخر، وأشقاء لا حول لهم ولا قوة.

أب يهشم رأس الرضيع حتى يستطيع النوم !!

ما هذه القسوة وتلك البشاعة التى لا يمكن أن يتخيلها بشر أو يتصورها إنسان عاقل فى هذه الدنيا التى تكاد تخلو من العقلاء؟! فى هذه المأساه التى تُضاف إلى ملف التعذيب المستمر من قِبَل الآباء والأمهات ضد الأبناء.. فى منطقة الخانكة فجأة وبدون سابق مقدمات انطلقت من إحدى المنازل صرخات عالية وأصوات وعويل من سيدة ربة منزل تبلغ من العمر ٣٠ عامًا، وقد خرجت من منزلها مهرولة فى ذهول شديد تستغيث بشكل هستيرى وتهذى بكلمات غير مفهومة على الإطلاق ودموعها تنهمر من مقلتيها، وعندما استجمعت شتات أمرها، وهدأت من روعها.. قالت والدماء على يديها وملابسها: إن زوجى الذى يبلغ من العمر ٣٥ سنة ويعمل حدادًا بعد عودته من عمله ليلا- كالعادة - كان

يتحدث معى بعنف شديد وغضب لا أعرف بالضبط ما سببه. وبعد أن قمت بإحضار وجبة العشاء له وقام بتناولها أخذ يشكو لى ضيق ذات اليد وعدم مقدرته على تلبية احتياجات المنزل، وأنه سوف يفكر فى البحث عن عمل آخر غير الذى يعمل فيه حاليًا، وكنت أحاول أن أخفف عنه بكلمات طيبة تدل على مقدرتنا على الصمود على المستوى المعيشى المحدود حتى يأتى الفرج من عند الله.. ولكنه عاد إلى ثورته وهياجه وغضبه بعد ذلك بدون سبب، وعندما كان يستعد للنوم والاستلقاء على السرير كان ابننا الوحيد الذى لا يبلغ من العمر سوى سنة واحدة يبكى، مما سبب له نوعًا من الإزعاج ! وعندما حاولت تهدئة الطفل لم يستجب لى وظل فى عناده يبكى، وعندما فشل زوجى فى النوم بسبب بكاء الطفل، قام بضربه بقسوة ثم صفعه على وجهه، مما أدى إلى زيادة بكائه وصراخه، فقام بمسك رأس الطفل وأخذ يطرقها فى الحائط عدة مرات أمامى حيث وقفت فى ذهول واستغراب، ثم بدأت فى الصراخ عندما وجدت الدم يسيل وينهمر من رأس الطفل الصغير. وتوقف الطفل عن البكاء وأخذت الأم تصرخ وتستغيث بالجيران، وعندما حضر الجيران لمعرفة سبب هذا الصراخ، وجدوا الطفل غارقًا فى دمائه، ولفظ أنفاسه على الفور !!

الأم تضع «سم الفئران»
فى كوب الماء وتقتل ابنها العاق !!

وهذه الحادثة المأساوية نشرتها الصحف المصرية بصورة بالغة وتابعت تفاصيلها لعدة أسابيع متوالية، وكانت بطلة هذه الحادثة.. أمًا.. أو سيدة تعمل ممرضة فى إحدى مستشفيات مدينة طنطا وكانت هى الجانى والمجنى عليها فى الوقت نفسه ! عندما قامت بقتل ابنها العاق لها والذى جعلها ترى معه ألوانًا من العذاب والألم والشقاء، حيث قامت

بقتله بوضع سم فئران له فى كوب الماء ليلفظ بعدها أنفاسه الأخيرة على الفور، ثم توجهت الأم القاتلة بعد ذلك إلى قسم الشرطة لكى تعترف بجريمتها وتسلم نفسها للعدالة.. وقد أكدت الأم فى اعترافاتها أمام النيابة ومن أقوال الشهود أن الابن - المجنى عليه - كان دائمًا سيئ السلوك، ومن مدمنى الخمور والمخدرات.. فبعد وفاة الأب وترك، الأسرة المكونة من الزوجة وثلاثة أبناء، ولد وبنتان، وعملت الزوجة فى التمريض لكى تنفق على أبناؤها، وكان أبناؤها فى مرحلة الصبا والشباب.. فكان الابن المقتول يعمل فى إحدى الورش الخاصة بتصنيع الأحذية، وما يتحصل عليه كل أسبوع ينفقه على مزاجه الخاص واحتياجاته، وملابسه حتى أصبح الابن مدمنًا للمخدرات والخمور وكان دائمًا يثور ويتعصب لأتفه الأسباب ويصرخ فى وجه أمه وكذلك شقيقتيه من أجل المال، وقد وصل به الأمر- كما تقول الأم - إلى محاولته اغتصاب شقيقته الصغرى أمامها، وفى أحد الأيام حضر الابن إلى المنزل ومعه بعض أصدقائه، وطلب من شقيقته مجالسة أحد أصدقائه من أجل أن يمنحه جرعة من المخدرات فرفضت، فما كان منه إلا أن قام بضربها بقسوة، وقد وصل به الحال إلى أن يطلب من أمه وشقيقتيه أن يقدموا أنفسهن لأصحابه المدمنين وتجار المخدرات لكى يمارسوا الجنس معهن وذلك حتى يحصل منهم على المخدرات التى يتعاطاها باستمرار ولا يمكنه الانتظار دون أخذها فى موعدها.. وكانت الأم المكلومة تصبر على هذا البلاء وعلى شرور ابنها وتدعو الله فى صلاتها أن يهديه ويشفيه من المرض والبلاء.. فكانت تحضر له النقود دائمًا عندما يطلب منها ذلك اتقاءً لشروره، بعدما فشلت الأم فى علاجه من كافة النواحى، فلم يعد تدخل أقاربه لإصلاحه نافعًا أو حتى الجيران أو أهل الحى الذى تعيش هذه الأسرة فيه!! حتى فاض الكيل بهذه الأم المسكينة وكان قلبها يتمزق دائمًا عندما كانت ترى ابنها الذى كان من المفترض أن يحل محل الأب بعد وفاته

ويكون ربًا للأسرة وحاميًا لها من شرور الأيام وتقلبات الزمن ولكنه أصبح هو نفسه يشكل تهديدًا خطيرًا لحياة هذه الأسرة الصغيرة من وقت إلى آخر، وكان يستنفد كل الأموال فى شراء المخدرات وتناول الخمور دون أن يعمل أو يتحصل على النقود من عمل يديه، بل كانت كل طلباته تجاب فورًا.. حتى ضاق الحال بالأم وبشقيقتيه.. فانتهزت الأم عودته فى أحد الأيام فى الصباح عند عودته من سهرته مع أصدقاء السوء- كالعادة - ووضعت سم فئران فى كوب الماء الذى طلبه منها، ثم قامت بخنقه بحبل الغسيل من رقبته وأحكمت قبضة الحبل حول رقبته دون أن تدرى بما تفعله، حتى لفظ الابن أنفاسه الأخيرة دون مقاومة منه ثم قامت بحمل جثته وقامت بإلقائها على ناصية الشارع بالحى حتى يرى الناس ذلك! ثم توجهت إلى قسم الشرطة لتسليم نفسها وتعترف بجريمتها والدموع تملأ عينيها !

جرائم أطفال السِفاح !!![1]

نوع آخر من الجرائم التى انتشرت مؤخرًا على استحياء داخل المجتمع بشكل كبير بطلتها المرأة التى تحولت من كائن رقيق إلى وحش كاسر يسلط أنيابه على فريسته ثم يقطعها إربًا إربًا، ثم يلقى بها إلى صناديق القمامة وفى الترع والمصارف! والفريسة فى هذه الجرائم يكون طفلا رضيعًا لا حول له ولا قوة كل ذنبه أن أمه قد حملته سفاحًا، وتحالفت مع الشيطان لتشبع رغباتها وشهواتها الجنسية ونفسها الأمارة بالسوء، ثم قامت بقتله فور ولادته حتى لا ينكشف أمرها وهى جريمة بلا شك غاية فى البشاعة واللاإنسانية تتجرد الأم خلالها من مشاعر الأمومة والرحمة وثوب الحنان، وتقتل طفلها الرضيع دون ذنب حتى تمحو العار الذى سببته بأيديها دون أن يعرف أحد، ثم تقوم بعملية

(١) جريدة الأحرار، ٢٠٠٤/١/١٢ م.

ترقيع للرحم لديها وتعود عذراء وكأن شيئًا لم يكن، فهذه الجريمة غريبة على مجتمعنا وقيمه وعاداته ورغم ذلك تكررت بكثرة فى الفترات الأخيرة ومع بداية الألفية الثالثة، وهذا إن دلّ على شىء فإنما يدل على وجود خلل ما فى المجتمع لا بد من علاجه فورًا.

وعندما نقلب أوراق هذه الجرائم فسوف نجد على سبيل المثال وليس الحصر، فى منطقة المقطم أنقذت العناية الإلهية طفلة حديثة الولادة من الموت عندما شاهد أحد الضباط شخصًا يقوم بإلقاء طفلة من فوق الهضبة، وقد اعترف بعدها المتهم بأنه عاشر ابنة خالته (٢٠ سنة) وأسفرت المعاشرة عن إنجاب هذه الطفلة التى قرر التخلص منها بهذه الطريقة البشعة والغير إنسانية.

وهناك جريمة أخرى ارتكبتها شيماء التى تبلغ من العمر ١٦ عامًا عندما لم تجد أمامها سبيلا للتخلص من طفلتها الرضيعة ٤ أشهر، والتى جاءت من علاقة غير شرعية مع أحد الأشخاص سوى وضع سم الفئران للطفلة فى الرضعة حيث لفظت أنفاسها الأخيرة فى الحال.

أما الست ولاء والتى تبلغ من العمر ١٨ عامًا فقد تحجر قلبها بدرجة كبيرة وألقت بطفلتها، التى لا يتعدى عمرها شهرًا، من الطابق الرابع فلقيت مصرعها فى منور العمارة وذلك بعد حملها سفاحًا من أحد الأشخاص بمدينة شبرا الخيمة.

وشهدت منطقة الرمل بالإسكندرية مأساة إنسانية بشعة عندما قامت أم بإلقاء ابنتها من الطابق الرابع لتلقى مصرعها وتغرق ابنتها الأخرى داخل «طشت» مياه ثم تحاول الانتحار بعد علمها باعتزام زوجها الزواج من أخرى بسبب إنجابها طفلة للمرة الثالثة فتم نقل الأم للمستشفى الجامعى وقد تبين أن الجثتين لطفلة عمرها ٥ سنوات والأخرى عمرها ٣ سنوات قامت والدتها بإغراقها داخل طشت ملىء

بالمياه، وأنها قامت بذلك للانتقام من زوجها بعد علمها أنه اعتزم الزواج من أخرى بعد أن أنجبت له الطفلة الثالثة منذ أسبوع، ثم قامت بقطع شرايين يدها للتخلص من حياتها عقب ارتكابها الجريمة.

زوجة تؤدب زوجها المشلول بعلقة موت !!! (1)

لم ترحم زوجة مرض زوجها وعجزه وضعفه وقامت بضربه بآلة حديدية حتى فقد الوعى ومات. وكما جاء فى التحقيقات أن السبب الذى دعا الزوجة إلى تأديب زوجها حتى الموت أنه يعانى من شلل تام وقعيد الفراش وتنتابه - أحيانًا - حالة تبول لا إرادى، وفى إحدى هذه النوبات صممت الزوجة على عقابه فانهالت على جسده بآلة حديدية ولم تتركه إلا فاقدًا الوعى رغم توسلاته إليها بأن ترحمه وقسمه أنه لن يفعلها مرة أخرى، وفجأة سقط الزوج مغشيًا عليه دون حراك فاستغاثت بالجيران الذين هرولوا لمساعدتها وعندما وصلوا إلى المستشفى وجدوا زوجها ٦٧ عامًا المشلول والموظف بالمعاش مصابًا بغيبوبة سكر وارتجاج بالمخ بالإضافة إلى عدد من الإصابات والسحجات بأجزاء متفرقة بالجسم، وظل راقدًا بغرفة العناية المركزة بين الحياة والموت إلى أن وافته المنية بعد خمسة أيام بعد العلقة الساخنة!

زوجة تقيم علاقة آثمة مع جارها وتهرب عندما تكتشف علم ابنتها بهذه العلاقة !!! (2).

فى البداية تقول الطفلة البالغة من العمر ١٠ سنوات ابنة الزوجة الخائنة وهى تحكى لجدها: كنت أشاهد أمى مرات عديدة تدخل شقة جارنا، فى الطابق العلوى، ولم تتوقف عن هذا بل كانت تأخذ ذهبنا من

(١) جريدة روز اليوسف، بتاريخ ٢٠٠٣/١١/١ م.

(٢) جريدة الأهرام، بتاريخ ٢٠٠١/١٠/٢٠ م.

الدولاب وتعطيه لهذا الجار ووصل الأمر بينهما إلى العلاقة الآثمة بعد أن رأتهما يتجردان من ملابسهما، وذات يوم هددت الطفلة أمها بفضح علاقتهما الاثمة وأنها ستبلغ والدها فثارت الأم وتحولت إلى وحش ! وأمسكت بالابنة البريئة وجردتها من ملابسها وقام جارها باغتصابها، وهددتها أمها بأنها ستفضحها إذا فكرت فى كشف علاقتها مع عشيقها. وكررت الأم جريمتها عدة مرات مع طفلتها والتى كانت تصرخ وتستنجد «يا مين ينقذنى من فكى أمى وعشيقها» وكانا يكتمان صوتها ويحرقان جسدها بالسجائر، وظلت على هذه الحالة فترة من الوقت والأب كان يعمل بإحدى الشركات ويخرج من الصباح الباكر ويعود فى المساء كل همه يضعه فى عمله يريد أن يوفر المال ليسعد زوجته وطفلتيه، وكان أن اكتشف الأب ذات يوم اختفاء المشغولات الذهبية من الدولاب، انتابه الشك، رفض الجد أن يقول لابنه زوج الخائنة كلام ابنته وفضل أن يحتفظ بما سمعه من حفيدته وزادت آلامه فأصيب بجلطة وشلل أودى بحياته، ولم يعلم الزوج بحقيقة الأم إلا عندما استمع لطفلته التى روت له كل شىء وقامت الزوجة الشيطانية بالهروب مع عشيقها ولم يعودا حتى الآن فقام الأب بتحرير بلاغ فى قسم شرطة عين شمس باغتصاب طفلته.

وبعد سرد هذه الجرائم، هناك الكثير غيرها، نقول ونتساءل فى الوقت نفسه: هل غابت الأمومة عن شمس مجتمعنا أم أنها توارت خلف الهموم والمشاكل والمسئوليات والضغوط الحياتية، وغفلات الزمن الردىء التى باتت تدمر كل شىء من أحاسيس ومشاعر، حتى قلوب الأمهات التى أصبحت أشد قسوة من الحجارة وإن كانت الحجارة يتفجر منها الأنهار؟

أم تلقى بطفلها الرضيع
من شرفة منزلها خوفا من الفضيحة !!! [1]

تجردت أم من مشاعر الأمومة عندما ارتكبت جريمة من أبشع ما يمكن وهى قتل نفس بغير حق عدوانًا وظلمًا والمقتول ليس بعيدًا عنها أو أحد أقاربها أو حتى أشقائها أو حتى زوجها، بل هو فلذة كبدها وابنها الوحيد وذلك بعدما عشقت رجلا إلى درجة الجنون وأحبته إلى درجة أنها لا تستطيع أن تفارقه، فعندما طلبت منه الزواج رفض ذلك معللا عدم قدرته المالية على الإنفاق عليها الآن على الأقل لأنه متزوج من أخرى، فاقترح عليها أن يتزوجا عرفيًا فوافقت لحبها الشديد له، وأثمر هذا الزواج عن طفل، وعندما ألحت فى طلبها تحويل هذه العلاقة إلى زواج رسمى وافق الزوج على ذلك، ولكنه بعد زواجها بيوم واحد قام بتطليقها ورفض الزوج نسب الطفل إليه وذلك عندما ذهبت للاعتراف به، فخافت الأم من الفضيحة والعار فقامت بخنق الطفل وإلقائه فى ترعة بركة السبع وكأن شيئًا لم يكن!

طالبة عاشرت خطيبها
معاشرة الأزواج وألقت بالمولود من الشباك ! [2]

وهذه قصة أخرى غريبة إلى درجة كبيرة تبدأ وقائعها عندما بدأ نضج الطالبة سماح وهى فى مرحلة المراهقة وبرزت أنوثتها وصارت فتاة ذات قوام ممشوق، تقدم لها خطيبها السائق «٢٠ عامًا» كانت فى مرحلة الثانوية التجارية جرت بينهما قصة حب وتمت الخطوبة فى حضور أسرة الطرفين، وتعددت اللقاءات بينهما وبدآ يمارسان الحب فى أماكن مختلفة بعيدًا عن أعين الناس إلى أن وقعت سماح فى المحظور وكان

---

(١) جريدة الأهرام، ٢٠٠١/١٠/٣ م.

(٢) جريدة الأهرام، ٢٠٠١/١٠/٨ م.

يعاشرها معاشرة الأزواج، إلى أن أثمرت هذه العلاقة عن طفل وبعد غيابها عن منزل أسرتها لفترة وبعد إتمام الحمل طلبت من خطيبها الإسراع فى الزواج منها إلا أن الخطيب رفض ذلك وتنصل من الطفل وسافر وهجر المكان إلى محافظة أخرى للعمل، ولا تعرف سماح طريقه فما كان منها إلا أن قامت بإلقاء الطفل الرضيع من شرفة منزلها بعد أسبوع من ولادته خوفًا من فضيحتها، إلا أنه تم اكتشاف أمرها وتم القبض عليها بعد ذلك من قِبَل رئيس مباحث الساحل، وعندما تم سؤال الفتاة عن السبب فى ذلك قالت إن التفكك الأسرى الذى تعيشه مع أسرتها وهو هجر الأب وزواجه من أخرى وزواج الأم من زوج آخر، جعلها تقدم على هذا العمل.

امرأة قرينة الشيطان !

الخالق عز وجل لم يخلق المرأة حيوانًا لإثارة الشهوات وإطفاء الغرائز وإشباعها، وإنما خلقها كما خلق الرجل وجميع المخلوقات لعبادته ولتحقيق أهداف سامية ونبيلة فى المجتمع الإنسانى، ويكفى أنه- عز وجل- قرن المرأة بالرجل فلم يجعل بينهما فى رسالة الحياة إلا درجة واحدة يحكم بها الواقع الذى تؤكده الفطرة لا محالة. والشريعة الإسلامية السمحاء قد كرمت المرأة ورفعت من شأنها إلى أرقى المنازل، وقد سوت بينها وبين الرجل فى الحقوق المدنية بكل أنواعها.. والجريمة منذ بدايتها إن كانت قد ارتبطت بالرجل، فإن للمرأة أيضًا نصيبًا كبيرًا منها، وقد تكون هى السبب الرئيسى فيها ! كما قال المفكر الألمانى هيجل «عندما تقع الجريمة فابحث أو (فتش) عن المرأة»!

والتغيرات التى طرأت على بنية المجتمع المصرى ألقت بظلالها على طبيعة المرأة نفسها التى خرجت إلى سوق العمل، واختلطت فى الحياة وتعاملت مع الصالح والطالح، وواجهت العديد من المواقف الصعبة وامتهنت مختلف المهن.. وفجأة وجدنا المرأة قاتلة.. سارقة.. مزورة.. مرتشية.. هاربة بأموال البنوك ! .. ساقطة تمارس الدعارة.. خائنة لزوجها.. تمارس الدجل والشعوذة... إلخ.

فى دراسة هامة قام بها المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية تم رصد جرائم القتل والعنف التى ارتكبها الجنس الناعم بنسبة ١٠٠٪ وربطت الدراسة بين الجريمة الحريمى والمستوى التعليمى، حيث تأكد ارتفاع نسبة الاتجاه إلى العنف لدى الأميات بنسبة ٨٧٪.

الأمر الذى يستوقف الباحثين والمتابعين بل ويصيب الرأى العام بالدهشة والذهول مما يدعونا لإعادة قراءة المرأة والتوقف أمامها من خلال هذه النماذج البشعة. وعندما نقلب فى دفاتر الأسرة المصرية وأوراق هذا الملف المثير سوف نجد فيه عجائب كما نشرتها الصحف والمجلات، فمثلا:

- زوجة تمزق جسد زوجها بالسكين انتقامًا منه لضربها ومنعها من السفر لزيارة شقيقها.

- وفى منطقة المرج ذبحت ربة منزل زوجها بالسكين داخل مسكنها بسبب معاتبته لها على تأخرها خارج المنزل.

- وفى المطرية طعنت سيدة زوجها العامل بسكين حاد وتركته مدرجًا فى دمائه وفى حالة سيئة بين الحياة والموت لرفضه تطليقها حتى تتمكن من الزواج بشقيقه الأكبر.

- وكانت أبشع الجرائم المشهورة لتلك السيدة التى اشترت مجموعة من الأكياس البلاستيك، ثم قامت بذبح زوجها وتقطيعه إربًا ثم وضع كل جزء فى كيس ثم قامت بإلقائه فى أحد المصارف، وأبرز مثال حى هو ما تحولت قصته إلى فيلم سينمائى بعنوان: «المرأة والساطور».

نساء فى غرفة الإعدام !!! (١)

فى عام ٢٠٠٠ شهدت غرفة الإعدام توقيع عقوبة الإعدام على أربع سيدات قتلن أزواجهن، للتفرغ للعشيق، وكما تقول أوراق محكمة الجنايات التى أصدرت الحكم أن المتهمة الأولى وتدعى (ص.م) وعمرها - ٣٢ عامًا - تقيم فى منطقة حلوان وهى زوجة لرجل يكبرها بثلاثين عامًا ويعمل الزوج بائع خضار على عربة كارو، وقد كانت المرأة قد أنجبت منه طفلين الأول عمره حوالى ٤ سنوات والثانى عمره ٣ سنوات، وبعد فترة الزواج التى دامت واستمرت حوالى ٦ سنوات متصلة لم يشعر فيها الزوج بأية تغييرات على زوجته التى كانت تنتظر فرصة خروجه من المنزل بحثا عن لقمة العيش يسد بها أفواه أسرته وساعيًا إلى رزق أبنائه حتى تلتقى بجارها البالغ من العمر ٣٣ عامًا، أى قريب جدًا من عمرها، لكى تمارس الجنس معه وتستمتع فى أوقات عدم وجود زوجها فى المنزل حتى أصبحت هذه العلاقة الآثمة عادة يومية تعددت من خلالها اللقاءات المحرمة بينهما طوال عامين كاملين، وعندما رفض الزوج طلب زوجته بالطلاق ولشدة احتياجه لها فى ظل ظروف صعبة يمر بها الزوج اتفقت مع عشيقها على التخلص منه، حيث قامت بوضع مخدر له فى الطعام ثم خرجت إلى جارها العشيق الذى حضر مسرعًا فور استدعائها له ومعه سكين، وقاما معًا بذبح الزوج وتقطيعه إربًا إربًا وبسرعة قاما بوضع أجزاء جسده وأشلاءه فى جوال من البلاستيك، ثم حملاه على السيارة الكارو المملوكة للزوج المذبوح وقاما بإلقائه فى ترعة المريوطية بالهرم حتى لا يفتضح أمرها وكأن شيئًا لم يكن، ثم عادت الزوجة الشيطانة وعشيقها إلى الشقة يمارسان الحب فى جو هادئ خال من التوتر والقلق والخوف. وبعد مرور يومين أبلغت الزوجة عن اختفاء زوجها فى ظروف

---

(١) مجلة روز اليوسف، ٢٠٠١/٢/١٦ م.

غامضة وبعد أربعة أيام كانت أجهزة الأمن قد عثرت على الجثة طافية على سطح المياه فى شكل مقزز فى ترعة المريوطية، وليس بها أى دليل على هوية وشخصية هذه الجثة وهو مفصول الرأس تمامًا وبعد التقاط صورة له وعرضها على الجيران والأهل قرروا أنها صورة الزوج الغائب، فى حين أنكرت الزوجة معرفتها بالجثة وقالت بأنه ليس زوجها ومؤكدة على أن الصورة تشبه زوجها فقط ولكنها ليست هى، وأن زوجها يقوم ببيع الخضار فى مناطق حلوان والتبين والمعادى ولا يستطيع الذهاب إلى منطقة المريوطية بالهرم. ومن خلال التحريات وتشديد المواجهة معها اعترفت فى النهاية بأنها قتلت زوجها بمعاونة جارها العشيق الولهان الذى أحبها منذ فترة واتفقا على التخلص من الزوج حتى يخلو لهما الجو وقد خلا.

زوجة تعشق سائق التاكسى ويتفقان على التخلص من الزوج!![1]

وفى منطقة إمبابة بمحافظة الجيزة كانت هناك واقعة يشيب لها الولدان وهى قيام زوجة تدعى (فتحية . م) ربة منزل- ٢٨ عامًا- بقتل زوجها بالتعاون مع عشيقها سائق التاكسى دون شفقة منها لهذا الزوج الذى يكبرها بعشر سنوات، تبدأ القصة عندما كان شباب المنطقة يتصارعون من أجل الفوز بالزواج من فتحية التى كانت تتمتع بجمال وجاذبية ليس لها حدود، فهى بيضاء اللون وذات قوام ممشوق وعينين جميلتين تخفى من ورائهما خبايا شيطانية ورقة شديدة وأنوثة طاغية إلى أن انتهى هذا الصراع على فتحية جميلة المنطقة وحسم لصالح أحد الأشخاص الذى يكبرها بعشر سنوات ويعمل فى المعمار وله صلة قرابة تربطه بهم من نفس البلد التى عاش فيها والدها بالصعيد من قبل،

(١) جريدة الأهرام، ٢٠٠٣/٢/١٠م.

عاشت فتحية مع زوجها وكانت سعادتها غامرة بالرغم من دخل زوجها البسيط إلا أنها كانت تدعى فى وجودها مع زوجها سعادة ليست لها حدود، وبعد فترة زواج دامت عامًا ونصف عام كانت الزوجة قد تعرفت على سائق تاكسى يسكن فى نفس المنطقة وقام بتوصيلها من قبل ورفض أن يأخذ ثمن التوصيلة من منطلق الشهامة المزعومة لأبناء المنطقة، وتعددت اللقاءات بينهما من خلال التاكسى وكان فى كل مرة يشترى لها هدية وينفق عليها بسخاء ويدعوها لتناول المشروبات والأطعمة فى بعض الأمكنة العامة، ويشترى لها ثيابًا وملابس جديدة وتدعى أمام زوجها بأنها هدية من والدتها أو إحدى شقيقاتها. نشأت بينهما علاقة عاطفية بعد أن صرح لها بحقيقة مشاعره نحوها وهى كذلك صرحت له بمشاعرها واتفقا على لقاءات متعددة بشكل مستمر، وكان يمارس معها الحب فى التاكسى فى أماكن مختلفة، وبعد أن انتشرت قصتها فى المنطقة شك الزوج فى سلوكها وبدأ يضربها ويعاقبها باستمرار ورفض خروجها من المنزل، واكتشف بعد ذلك أنها لا تريد الإنجاب منه من خلال تناولها باستمرار لحبوب منع الحمل بعد أن كانت تعايره بعدم الإنجاب، وبعد مرور ثلاثة أشهر على حبسها فى المنزل اتفقت مع العشيق سائق التاكسى على التخلص من الزوج، وفى أولى خطوات الزوجة الشيطانية للتخلص من الزوج هى أنها طلبت من عشيقها أن يصدمه بسيارته التاكسى أثناء سيره فى الطريق، لكن عشيقها رفض ذلك واتفقا على قتل الزوج بعد اصطحابه إلى مكان ناء وقتله، وبالفعل دبرت الزوجة لقاءً للزوج فى مكان مهجور وكان السائق الولهان فى الانتظار وفى يده سكين وكان ينتظرها بفارغ الصبر، وما أن شاهد كلا من الزوج والزوجة معًا حتى هجم على الزوج وطعنه عدة طعنات نافذة ثم ضربه فوق رأسه بحجر ضخم فأرداه قتيلا فى الحال، ثم حمله مع الزوجة الخائنة داخل التاكسى وقاما بإلقاء الجثة فى منطقة مهجورة على طريق مصر

الإسكندرية الصحراوى، وعادت الزوجة إلى المنزل وكأن شيئًا لم يكن وظلت على هذا الحال ثلاثة أيام حتى فوجئت بشقيق زوجها يطرق الباب للسؤال عن شقيقه، فأخبرته الزوجة اللعوب بأن زوجها قد اختفى منذ ثلاثة أيام ولم تعرف عنه شيئًا وأنها تظن أنه سافر إلى البلد فى الصعيد لقضاء أمر مهم، ولكن الأخ ارتاب فى كلام زوجة أخيه التى بدت عليها علامات الخوف، فقدم شقيق زوجها بلاغًا إلى قسم الشرطة يتهم فيه زوجة أخيه بأنها وراء اختفاء زوجها، وبعد جمع التحريات ومواجهة الزوجة والتشديد عليها ومقابلة بعض أفراد الجيران اعترفت الزوجة بقتل زوجها، وأخبرت عن مكان الجثة ومكان العشيق سائق التاكسى، وتم القبض عليها وأحيل المتهمان للنيابة وصدر الحكم بعد ذلك عليهما بالإعدام شنقًا.

زوجة تقتل زوجها بوضع سم له فى الطعام لأجل عشيقها !![1]

يقال إن المرأة عندما تتمرد تتحول إلى أنثى النمر أو أنثى الأسد التى قد تفوق شراستها شراسة زوجها ووالد أطفالها، فالمرأة التى تقطع جثة زوجها شرائح وقطعًا وتلقيه فى أماكن متفرقة لكى تتخلص منه إلى الأبد وتشفى غليلها حتى تحقق مآربها الشيطانية، وتقع فى الإثم الكبير وهو الزنا وخيانة الأمانة، وتضرب القيم والتقاليد والأخلاق والأدب والحياء فى مقتل فتكون نهايتها معروفة هى الندامة والحسرة والجحيم وبئس المصير فى الدنيا والآخرة. وفى منطقة المرج قامت الزوجة وتدعى زينب محمود البالغة من العمر - ٣٨ عامًا - بقتل زوجها مع سبق الإصرار والترصد وذلك بالاشتراك مع عشيقها. تبدأ وقائع هذه القصة عندما تعرفت زينب على أحد الأشخاص بطريق الصدفة وأعجبت به لموقفه

---

(١) جريدة الأهرام، ٢٠٠١/١١/١٢م.

الذى قام به من أجلها عندما قدم لها خدمة ما وكانت الخدمة هى توصيلها للمكان الذى تريده بالضبط، فتبادلا أرقام التليفونات معًا على الرغم من أن زينب كانت متزوجة آنذاك، وظلت الاتصالات تدور بينهما عن طريق الهاتف لفترة طويلة إلى أن توطدت العلاقة بينهما، ثم بعد ذلك تعددت اللقاءات بينهما بصورة أكبر إلى أن صرح لها العشيق بحبه لها بدرجة كبيرة وأنه لا يستطيع الابتعاد عنها على الإطلاق. وكانت زينب فى نفس الوقت قد بدأت تمل وتشعر بالضيق من عيشة زوجها الذى لا يأتى بجديد فى حياته والتى أصبحت أشبه بالروتين الحكومى، فاتفقت مع عشيقها على أن يتقابلا فى المنزل فى حالة خروج الزوج إلى العمل، وفى إحدى المرات قامت الزوجة اللعوب بشراء سم فئران ثم قامت بوضعه فى الطعام وقدمته لزوجها وكانت فى هذا اليوم قد اتفقت مع عشيقها على الحضور إلى المنزل، وظل العشيق تحت السرير فى غرفة نوم الزوجة بعد أن مارس الحب معها لمدة ساعتين عندما حضر الزوج وجلس يتناول الطعام الذى أحضرته له زوجته، وعندما وجدته بعد الأكل يتقيأ ويصرخ من شدة المغص قامت بمعاونة عشيقها بقتله بآلة حادة بقوة حتى سقط على الأرض مدرجًا فى دمائه ولفظ أنفاسه الأخيرة فى الحال، ثم قامت الزوجة والعشيق بعد ذلك بحمله ليلا والناس نيام ثم قاما بإلقائه فى الترعة وكأن شيئًا لم يكن، ولكن القدر كان عادلا دائمًا تم كشف أمرها وانهارت واعترفت بجريمتها وبمكان عشيقها، وصدر الحكم بإعدامها وكذلك عشيقها.

وبنفس الطريقة تمامًا قامت عبير بقتل وذبح زوجها بالاشتراك مع عشيقها الذى ظلت تحبه دون علم زوجها، وعندما سنحت الفرصة قامت بقتله وحكم عليها بالإعدام شنقًا وتوجيه تهمة قتل زوجها مع سبق الإصرار والترصد.

وهذه الحوادث ما هى إلا أمثلة مختارة من حوادث كثيرة مشابهة

تظهر فيها حواء وهى ترتدى ثوبًا ملطخًا بالدماء، وتمسك فى يديها ساطورًا وسكينة وتقتل به زوجها أو تذبحه قطعًا وتلقى به فى الترع والمصارف وتقضى على مستقبل أسرة بيدها.

تفسير الجريمة الأسرية !

يقال إن الاستقامة هى الجوهر الذى تصبو إليه كل كتب التربية والتعليم ولا سبيل إلى تحقيق الاستقامة إلا باتباع كتاب الله وسنة نبيه، ثم يستفتى الإنسان قلبه فى كل شأن من شئون الدنيا، والقلب هنا هو موضع الضمير أو الأنا الأعلى كما يراها علماء النفس فإن لم يكن المرء رقيبًا على ذاته حاجمًا لأهواء نفسه ومسيطرًا على شهواته ومطامعه فلا سبيل إلى إدراكه النجاة ووصوله إلى بر الأمان. وهذه هى مجموعة من الآراء النفسية والاجتماعية لمجموعة من العلماء كل فى تخصصه عن الجرائم الأسرية والتى أصبحت شبحًا يهدد أركان المجتمع كله- فماذا قالوا؟

الدكتور فكرى عبد العزيز أستاذ الطب النفسى يقول: إن للجانب النفسى تأثيرًا فى حدوث السلوكيات العنيفة بين أفراد المجتمع بشكل عام وداخل محيط الأسرة بالإضافة إلى غياب المفاهيم التربوية السليمة فى التعامل مع الأطفال وهى الفترة التى يتشكل فيها الوجدان والشخصية بالإضافة لفترة المراهقة، أضف إلى ذلك:

- درجة الثقافة والتدين والضغوط الاقتصادية التى يتأثر بها كل أفراد الأسرة حسب مسئولياتهم ودرجة تعاملهم مع الأعباء الجديدة والتى تكون أحيانًا على حساب العلاقات الاجتماعية والأسرية، وكذلك الجهد النفسى الواقع على الأم المصرية فى زيادة المسئولية لمشاركتها زيادة دخل الأسرة مع المطالبات الأخرى الواجب عليها فعلها، فكل هذه الضغوط التى تتعرض لها الأم جعلتها عاجزة عن متابعة الأبناء فحدث نوع من التسيب وفقد الأمان الصحى، وكل هذا أدى مع الحالة

الاقتصادية والتطور التكنولوجى السريع الذى أدى إلى شيوع ثقافة طلب الكماليات وتحويلها إلى ضروريات وأساسيات فى كل بيت مثل الدش والموبايل والسيارة، وهى أعباء جديدة أضيفت على كاهل الأسرة المصرية وأفرزت أمراضًا اجتماعية ونفسية وكذلك جرائم يعاقب عليها القانون خارج الأسرة داخلها أيضًا.

ويشير د. فكرى: إلى وجود نسبة كبيرة من غير القادرين على الزواج ونسبة عالية تأخر فيها سن الزواج، فقد وصل عدد غير المتزوجات فوق سن الثلاثين إلى ١٠ ملايين فتاة وفقًا لإحصاءات رسمية عام ٢٠٠٥ وذلك يرجع فى كثير من الأحيان إلى الظروف الاقتصادية الطاحنة التى قد تجعل المرأة أكثر عدوانًا لمجتمعها وكل المحيطين بها. وكذلك الشاب الذى تأخر زواجه وعمله فيكون شخصية عنيفة وقابلة للإثارة وارتكاب الجريمة لحل مشكلته الخاصة وتحقيق الحياة الكريمة حتى ولو كانت الجريمة فى حق أحد أفراد أسرته.

ويؤكد د. فكرى: أن كل هذه الجرائم الأسرية الناتجة من كل هذه العوامل تحتاج إلى دراسة نفسية اجتماعية رغم أنها لم تصل إلى درجة الظاهرة وذلك بدراسة تشمل جميع مراحل العمر المختلفة لأبناء المجتمع لأن هذا النوع من الجرائم وصل إلى حد الجرائم غير المعقولة وهذا نتج عن مثل الهوية الإنسانية.

- تفسير الدكتورة عزة كريم (خبير أول العلوم الاجتماعية بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية).

ترى أن هناك سلوكيات عنيفة جديدة بدأت تنتشر فى المجتمع المصرى حتى وصلت لأكثر المؤسسات ترابطًا وهى الأسرة التى كان تتميز بسمات أساسية كالتضحية والحماية والترابط وتحقق الحب والتواؤم بين أفرادها.

وكدنا نرى يوميًا (الكلام للدكتورة عزة) جريمة عنف أسرية على

صفحات الجرائد بخلاف ما يقع فى المجتمع من جرائم ولا ينشر، وهو يُعد مؤشرًا خطيرًا لما أصبح عليه حال الأسرة المصرية. وقد ظهرت هذه الجرائم نتيجة لعدة متغيرات اجتاحت المجتمع بأسره على رأسها سوء الاختيار للزوج والزوجة، وهو ما يظهر فيما بعد فى تدهور العلاقات الزوجية واتسامها بالقلق المستتر الذى يدفع كل طرف لتحقيق مصلحته الذاتية وتفضيل مصالحه الشخصية على المصلحة العامة للأسرة.

فأصبحت المرأة تهتم بتحقيق طموحاتها الخاصة واكتناز مرتبها بعيدًا عن أعين زوجها، كذلك أصبح الزوج يخفى أمواله عن زوجته ويعيش حياته العاطفية بعيدًا عن أعينها وهو ما يؤثر على تنشئة الأبناء بحيث ينطبع الشكل الذاتى والمصالح إلى ذلك العناد الذى غير العلاقات الزوجية، حيث لم تعد الزوجة تسير دائمًا فى ركب الزوج خاصة إذا كان لا يؤدى التزاماته وواجباته نحو الأسرة وهو ما يهيئ الجو لوقوع جرائم العنف نتيجة تراكم المشادات اليومية المتلاحقة.

وتضيف: إن اختلاف أساليب التنشئة انعكس على سلوك الأبناء ونقل إليهم الشعور بالتوتر والارتقاء بالقيم المادية على ما عداها من القيم، بحيث أصبح معظم الأبناء يفهمون التربية بأنها توفير المأكل والملبس والتعليم أى أنها تنحصر فى أمور مادية فقط بحيث لم يعد هناك وقت للجلوس مع الأبناء والتحاور معهم وغرس قيم الدين والتسامح، بل على العكس، أصبحت ثقافة العنف من أهم ما يغرس الآباء فى أبنائهم وهى ثقافة تقوم على العناد والتحدى والانتقام ويتجلى ذلك فى جملة «اللى ضربك اضربه» التى يقولها ملايين الآباء لأبنائهم. وفى المدرسة يزداد الأمر سوءًا حيث يبدو الصراع المادى متجليًا بدلا من غرس القيم الإيجابية فى الطلاب أى أن الماديات أصبحت هى المحرك الأساسى الذى احتل مكان النسق الأخلاقى القائم على الترابط والتسامح، وتفاعل كل ذلك أدى إلى تغلغل العنف داخل الأسرة المصرية وتحول العلاقات

القائمة فيه إلى قنابل موقوتة مستعدة للانفجار فى أى لحظة.

وهو ما ينتج عنه أبشع الجرائم دون مراعاة لصلة الرحم أو لعلاقة زوجية أو غيرها من علاقات القرابة، ولا يجب أن نغفل دور الدراما التى تُقدم فى وسائل الإعلام والتى تبرز الصراعات الأسرية وكيف يديرها أفرادها بمزيد من العنف حتى عند المطالبة بالحقوق وهو ما يعطى انطباعًا للأبناء بأن هذا هو السلوك الطبيعى.

- تفسير الدكتور أحمد المجدوب (المستشار بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية).

فيؤكد أن الإحصائيات الأخيرة الصادرة عن وزارة الداخلية تشير إلى أن ٦٠ ٪ من جرائم العنف على وجه الخصوص - القتل - تقع داخل الأسرة نفسها. يفسر ذلك بأن التحولات الاقتصادية السريعة وما صاحبها من تغيرات اجتماعية هزت القيم الاجتماعية الأصلية من جذورها وعززت القيم المادية مما أدى لضعف الصلات الأسرية. أما لماذا تتزايد الجرائم داخل إطار نفس الأسرة فيرجع ذلك إلى أنه كلما ازدادت العلاقة مباشرة واستمرارية تزايد فرص الصدام والتصادم. فالمشكلة التى تقع فى إطار الأسرة تتميز باستمرار المواجهة نتيجة لتواجد أطرافها فى نفس المكان وأنها تأخذ شكلا أكثر حدة مع مضى الوقت، حيث تبقى المشاعر السلبية والانفعالات مختزنة إلى أن تتفجر ويفقد الإنسان السيطرة على نفسه.

وترجع جذور العنف فى الأساس إلى أسلوب التنشئة الاجتماعية حيث تفقد الأسرة المصرية القدرة على التحاور، ويتربى الطفل على اللجوء للعنف لفرض رأيه على الآخرين، وفى المدرسة يزداد لديه الاقتناع بأن العنف هو السبيل الوحيد للحصول على حقه ولا يخفى على أحد أن المدرسة اليوم صارت بؤرة للعنف، والجرائم الأخيرة تؤكد ذلك. ويرجع ذلك إلى أن الأسرة لا ترشد أبناءها للجوء للقنوات الشرعية لحل

أى نزاع، ومن ناحية أخرى تلعب وسائل الإعلام دورًا أساسيًا فى ترسيخ مفهوم العنف حتى يسير العنف والجنس كخطين متوازيين فى معظم أعمالنا الدرامية حيث يعطى للبطل الحق فى أن يكون خصمًا وحكمًا فى نفس الوقت يسعى للحصول على حقه بيده حتى لو قتل أو سرق فى سبيل ذلك، كما أن اختيار أبطال تلك الأعمال الدرامية ممن يتسمون بخفة الظل واللطف والوسامة يعطى للشباب نموذجًا محببًا للعنف يسعون فيما بعد للاقتداء به حينما تواتيهم الفرصة.

ومع اختفاء الثقافة التقليدية واهتزاز ثوابتها لم يحل محلها بناء ثقافى جديد يسعى لترسيخ عادات وتقاليد وأعراف تحافظ على كيان المجتمع، ومن ناحية ثانية غابت المؤسسات الدينية ولم تعد تمارس دورها خوفًا من فتح باب الحوار والتطرف لما هو أبعد من المشكلات الاجتماعية بمعنى آخر الدخول فى المحظور.

وهناك أسباب ثانوية للعنف منها: تلوث البيئة والازدحام الذى يؤثر على أعصاب الشباب ويحولها إلى وحوش مكبوتة فى انتظار الفرصة. فضلا عن غياب الإخصائى النفسى وعدم قيام الإخصائى الاجتماعى بدوره سواء لعدم الاعتداد به أو لتكليفه بالتدريس لسد العجز فى بعض التخصصات كل هذه العوامل تكرس لمفهوم العنف وتجعل من السهل الوصول لمرحلة الانفجار سواء تم ذلك فى إطار الأسرة أو خارجها.

- رأى د . سامية خضر (أستاذ ورئيس قسم علم الاجتماع والفلسفة بكلية التربية - جامعة عين شمس).

الدكتورة سامية خضر ترى أن هناك عدة عناصر تلعب دورًا خطيرًا فى الجرائم الأسرية التى لم يعتدها المجتمع المصرى من قبل ويأتى على رأسها الإدمان، فمعظم هذه الجرائم تحدث تحت تأثير المخدر وقد طالبنا الصحف عدة مرات بمراعاة التأكيد على تلك النقطة وإيضاحها فى عنوان الخبر ليظهر السبب الحقيقى فى تجلى مستوى العنف لدرجة

قتل أحد أفراد الأسرة ليضاف إلى ذلك الجانب المادى والضغوط الاقتصادية التى تساعد على الدخول لمرحلة الانفجار، وهناك عدة معادلات ينتج عنها دائمًا الجريمة: المعادلة الأولى تأتى نتيجة لتضافر عوامل الجهل والفقر والإدمان، والمعادلة الثانية فتنتج عن تفاعل الثراء والإدمان والفراغ، أما المعادلة الثالثة فتشمل الازدحام والضغوط المستمرة والقيم المتدنية.

وهناك تيار عام يخترق المجتمع بسرعة رهيبة ويلقى بكل القيم أرضًا ويعلى من شأن العنف ويغذى هذا التيار وسائل الإعلام المختلفة التى صارت تسمح بنشر ثقافة العنف وتسمح بالكلمات والألفاظ النابية ليعتادها المتفرجون ويكررونها، فضلا عن المساس بأهم القيم التى تعارف عليها المجتمع حيث صارت هناك أعمال درامية كثيرة تبسط الأمور وتبرز القيم الأصلية على أنها نوع من التخلف وتشجع على السلوك المنحرف، فضلا عن وجود تيار يدعم ذلك الانحلال بحيث يصعب على الأسرة المتمسكة بالقيم مواجهة كل هذه التيارات، وفى ظل غياب مؤسسة تتصدى لذلك، وهو ما أدى لسلبية الآباء والارتكان إلى أن هذا الجيل مختلف عن جيلهم وله قيم ومعايير وسلوكيات يجب التسليم بها وقبولها كما هى دون توجيه والدخول فى حوارات لا تثمر.

كل ذلك أدى إلى تفشى الظواهر الإجرامية نتيجة لارتفاع القيم الجديدة واعتلالها قمة المجتمع وما يترتب عليه من فساد الذوق ونجاح الفن المبتذل، فى حين هبطت القيم الإيجابية لأن التيار أقوى منها. وكما كانت الأسرة هى أولى المؤسسات الاجتماعية التى تخلت عن دورها فهى كذلك أولى المؤسسات التى تفشت فيها الجرائم وجنت ثمار العنف فى صورة جرائم غاية فى القسوة لم تكن متوقعة فى مجتمع كان وفى وقت قريب متسامحًا ومترابطًا.

جرائم الأبناء
ضد الأمهات والآباء!!

عندما نقلب أوراق هذا الملف الشائك عن جرائم الأبناء ضد الآباء والأمهات سوف نجد ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر!! فالأم والأب اللذان ذاقا «الويل» - والأمرّين - من أجل أن يكبر الأبناء أمام أعينهم وتشتد أعوادهم، وينجوا بهم من المرض تارة ومن الموت تارة أخرى. إلى أن وصلوا بهم إلى بر الامان.

الأم تحملت مشقة حمل الابن لمدة تسعة أشهر فى بطنها ثم صبرت وتحملت سنوات حتى استطاع هذا الطفل السير على أقدامه.. بل ويجرى ويلهو أمامها. الأب.. ذاق من التعب والكفاح والعمل ما يكفى حتى يستطيع توفير الطعام والأمان والاستقرار لأفراد أسرته.

بعد كل هذه المعاناه التى لاقاها الوالدان تجاه أبنائهم.. فجأة يتحول الأبناء - بعد أن يصلب أعواد جسدهم - إلى أشباح وجناة وأجساد بشرية تحمل بداخلها أحجارًا وليس قلوبًا تجاه والديهم، بل إنه فى وصفهم بالأحجار ظلم للأحجار نفسها. فنجد جزاء الوالدين قد يصل إلى الضرب والإهانة والنهر والتلفظ بأحقر الألفاظ، بل والقتل والتعذيب والطرد من المنزل!

ففى أى زمن نحن نعيش؟! وإلى أين تأخذنا هذه الجرائم التى صارت تهدد كيانات المجتمع المتمثلة فى الأسرة المصرية؟

وسوف نعرض بعض الوقائع التى نشرتها الصحافة المصرية فى الفترات الأخيرة، ودونتها محاضر الشرطة فى أقسام البوليس والنيابات وأروقة المحاكم.

بسبب المخدرات
وحضن عاهرة يذبح أمه أثناء صلاتها!!

لم يصدق نفسه الأمارة بالسوء أو يقتنع بما اقترفته يداه فقد انتفض جسده الضئيل وكأنه يستيقظ من كابوس مخيف ظل جاثمًا على أنفاسه يكاد أن يحبسها داخل صدره.. كان يلهث وكأنه عائد من رحلة طويلة وسفر شاق ومجهد.. نظر إلى يديه وهو منهوك القوى وإلى سكين تتشبث بها أصابعه تتساقط منها قطرات متلاحقة من الدماء.. ومسجاة أمامه على الأرض جثة أمه ملقاة بلا حراك فاقدة الحياة وحولها بركة من الدماء تلوث وجهها وكل جزء من جسدها!

استدار فريد ينظر حوله فى فزع وعيناه تكادان تقفزان خارج مقلتيهما متسائلا: من فعل هذا بأمى؟

بدأت هذه المأساة العظيمة فى حى إمبابة الشهير وهى منطقة شعبية فقيرة فى مستواها المعيشى والاقتصادى حيث يعيش فريد ابن السبعة عشر ربيعًا، والأم موظفة وكذلك الأب.. والبيت مغلف بالأمان والاستقرار ويظلله حب الوالدين للابن الوحيد، ويؤديان الفرائض فى الصلاة والعبادة ولكن الرياح أتت على هذه الأسرة بما لا تشتهى، وتغير حال الأسرة مع قدوم امرأة ملعونة.. ذات ماض مشين.. اكتسبت الانحراف منذ الطفولة.. تعرف كيف توقع بالصيد الثمين.. تملك الكثير من الأساليب المعوجة. اجتمعت مع فريد ذلك الطفل البرىء ذو الخلق والطباع الحسنة والذى سقط فى قبضة يدها. فوقع فى الفخ كعصفور شارد وقع فى شباك صائد ماهر.. حيث بدأت المرأة فى تنفيذ مخططها فى تحويل فريد إلى زبون دائم وعبد للمخدرات، وبالفعل نجحت فى ذلك وفى بضعة أيام التفت حوله واقتربت منه ولم يشعر بخطرها القادم

ولا بسمومها القاتلة التى تبثها فى روحه فى جرعات المخدر. وكانت له رؤية أخرى، حيث رأى فى الفتاة الحب والجمال.. لدرجة أنه تعلق بها بشدة وأصبح لا يستطيع أن يفارقها لحظة واحدة.

وازداد تعلقه بها عندما سمحت له بأن يمارس رجولته معها، وهو لا يزال على أعتاب مرحلة المراهقة، وسمحت له بأن يعاشرها جنسيًا، وتخلص معها من خجله ووجد فى نفسه صورة جديدة يتمسك بها بشدة وبدأت الشيطانة تلعب عليه وتمتص دمه- أقصد أمواله- رويدًا رويدًا.. وازداد تردد فريد على شقة هذه المرأة الشيطانة إلى أن وصلت الأخبار إلى والدته والتى اكتشفت سرقة مبلغ كبير من المال من خزانة والده.. حيث لاحظت أن ابنها أصبح يطلب منها أموالا كثيرًا بحجج كثيرة، وأحواله تغيرت إلى الأسوأ بل تأكدت من إدمانه للمخدرات.. فكتمت هذا السر حتى يأتى والده من السفر.. وعرضت المرأة الزواج من هذا الشاب فريد مقابل المخدرات والحب المزعوم.. فوافق وعرض الأمر على أمه فرفضت، فنهرها وصرخ فى وجهها وكان شديد الانفعال والهذيان. فأصرت الأم على رفضها.. واعتبر فريد هذا التصرف من أمه إهانه لا تغتفر فقد أصبح فى نظر نفسه رجلا يجب ألا يُهان! فماذا لو علمت فتاته؟! فاستل سكينًا وخبأها بين طيات ملابسه وبعد أن تناول جرعة المخدرات ورجوعه لمنزل أمه، وجدها تصلى وتسجد لله وتدعو له، فقام بغرز السكينة فى ظهرها وهى راكعة فاستدارت له فى ألم شديد وقالت له: «لماذا فعلت هذا يا فريد وأنا بأحبك.. ربنا يسامحك؟».

طبيب يذبح أمه ثم يجلس
بجوارها ويقول: «عقول الناس جرى لها إيه؟!»

لقد وضع الله عز وجل دستورًا فى العلاقة بين الآباء والأبناء عندما ذكر فى محكم آياته: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا﴾ (الإسراء/ ٢٣).

وكذلك صدق رسول الله ﷺ حينما سأله أحد الصحابة عن أحسن الناس صحبة له فقال له: «أمك ثم أمك ثم أمك ثم أبوك» وهذه الجريمة التى سوف نعرضها لا يصدقها عقل ولا تتفق مع منطق، ولكنها حدثت بالفعل.. وكان بطل هذه القصة طبيبًا بشريًا متخصصًا فى علاج الأمراض النفسية يتوافد إليه الكثير من المرضى النفسيين والافراد العاديون لكى يستشيروه فى مرضهم ويتلقون منه العلاج والوسيلة.. فقد تحول هذا الطبيب إلى شخص متحجر القلب، معدوم المشاعر والأحاسيس، عندما قام- فجأة- بتهشيم رأس أمه وطعنها بسكين حادة عدة طعنات فى أماكن متفرقة من جسدها النحيل وفى بطنها التى حملته فيها لمدة ٩ أشهر عندما كان لا يزال نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظامًا مكسوًا لحمًا، وقام الطبيب بإخراج أحشاء أمه ثم فرغها أمامه وبعد ذلك جلس ينظر إليها ويبكى بشكل هستيرى ويردد جملة «عقول الناس جرى لها إيه»! كانت الأم تعيش مع ابنها الطبيب فى الشقة بعدما تزوج أشقاؤه وتركوا المنزل الأسرى، بعد وفاة الأب. وكما يقول الطبيب القاتل وكذلك الجيران فى تحقيقات النيابة أن السبب الذى دفع الطبيب إلى ارتكاب هذه الجريمة البشعة كان هو طلب الأم وإلحاحها على ابنها الطبيب أن يتزوج قبل أن يفوته قطار الزواج بعد أن امتدت به سنوات

العمر فى عمله، وفى إحدى المرات عندما عاد الطبيب من عمله، وتناول طعام العشاء، فتحت الأم معه موضوع زواجه، فنشبت بينهما مشادة كلامية بسبب رغبة الطبيب فى شراء سيارة وتأجيل عملية الزواج، وعندما نهرته أمه وعاتبته على ذلك مؤكدة على رغبتها فى أن تطمئن عليه قبل أن تموت بعدما بلغت من الكبر عتيًا، فكان رد فعله عليها أن قام بإحضار شاكوش وانهال على رأسها بقسوة بالغة ولم يرحم صرخاتها وتوسلاتها إليه حتى هشم رأسها تمامًا ثم قام بعد ذلك بإحضار سكين من المطبخ ذات نصل كبير وقام بذبحها وتقطيع أجزائها وأشلائها وأخرج الأحشاء من بطنها، وعندما أحس الجيران بأصوات استغاثة قاموا بكسر باب الشقة ليجدوا الأم غارقة فى دمائها والابن يجلس بجوارها ويردد كلمات غير مفهومة على الإطلاق.. وعندما سألته النيابة عن سبب إقدامه على هذه الجريمة البشعة، برر هذا السلوك المشين بأن أمه كانت دائمًا لسانها طويل!

وتم القبض عليه ورميه فى السجن وحكم عليه بالإعدام شنقًا.

أستاذ جامعى وطبيب قتلا والدتهما المسنة بسبب فيلا!

لا تتعجب عندما تقرأ أحداث هذه القصة المأساوية التى كان بطلها اثنين ممن يُطلق عليهم صفوة المجتمع أو نخبته المثقفة. أستاذ جامعى، وطبيب بشرى، قتلا والدتهما المسنة بسبب فيلا صغيرة مع أنهما يمتلكان الكثير. قد تتساءل بعد قراءة هذه الحادثة التى نشرتها مجلة الشباب فى ديسمبر عام ٢٠٠٣: هل اقترب يوم القيامة، أم أننا بالفعل نعيش فى الإرهاصات الأخيرة من عمر الدنيا الفانية؟!

ففى محافظة الإسكندرية وبالتحديد فى قسم شرطة محطة الرمل وقعت حادثة هزت المجتمع كله، بدأت وقائعها عندما طلب الشقيقان من والدتهما التى تبلغ من العمر ٨٤ عامًا ترك الفيلا التى تسكن فيها، والتى

كانت قد ورثتها عن أسرتها الثرية جدًا من قبل والتى تزوجت وأنجبت فيها ولديها وتوفى زوجها بعد ذلك وترك لها ميراثًا كبيرًا أيضًا، وترك لها ولدين.. فرفضت الأم أن تتزوج من رجل آخر، ونذرت نفسها لتربية ابنيها حتى توصلهما إلى بر الأمان ، وبالفعل أصبح كل منهما فى مركز مرموق ومكانة يُشار إليها بالبنان، وقامت الأم بتأسيس شقة فاخرة جدًا لكل منهما فى أرقى أحياء الإسكندرية وتزوج كل منهما وأصبح لكل واحد منهما حياته الخاصة، وبعد مرور سنوات عدة، اتفق الشقيقان مع بعضهما على أن يطلبا من الأم ترك الفيلا والإقامة فى دار المسنين!! أو تجهز شقة صغيرة لها واستحضار خادمة لتفى بأغراضها، على أن يقوما ببيع الفيلا ويستفيدا من ثمنها فى عمل مشروعات خاصة بهما ومساعدة أبنائهما فى المستقبل، أو القيام ببناء عمارة سكنية بالمشاركة مع أحد المقاولين على أن يأخذ نصفها، وقاما بعرض هذه الاقتراحات على الأم. فما كان من الأم إلا أنها رفضت عرضهما، فقرر الشقيقان رفع قضية حجر عليها!!

ومع أول جلسة رفضت المحكمة طلب الحجر حيث شهد الجيران أن الأم مازالت تتمتع بكامل قواها العقلية وأن رغبة ولديها فى الاستيلاء على الفيلا هى التى جعلتهما يدعيان ذلك!! ورغم ذلك لم يهدأ الأستاذ الجامعى والطبيب وقاما بعمل توكيل من الأم لهما بتاريخ سابق لتاريخ قضية الحجر بموجبه قاما بالبيع لأنفسهما من قِبَل الأم! ورفعا دعوى قضائية يطالبان فيها بنزع الملكية وإخلاء الفيلا وعلمت الأم بذلك فانهارت نفسيًا وأصيبت بشلل فى قدمها نتيجة لذلك.

وفى المحكمة تم الحكم ببطلان الدعوى لصالح الأم ولكن حدث ما لم يكن فى الحسبان - عندما كان الشقيقان أمام باب المحكمة بعد النطق بالحكم السابق، فى انتظار والدتهما، وعندما مرت الأم من أمامهما لم يتمالك الابن الأكبر الأستاذ الجامعى نفسه وأخرج من جيبه «سبراى

حارق للعيون» ورشه على وجه أمه لتسقط السيدة المسنة فى حالة خطيرة كما رشه على أحد الجيران الذين كانوا يرافقون الأم والذين شهدوا لصالح الأم، وعلى الفور تم نقل الأم إلى المستشفى وظلت به لثلاثة أيام فقط لكنها فقدت الرغبة بعد ذلك فى الحياة نتيجة تعذيب ولديها لها وعقوقهما لحقوقها وعندما اشتد بها الألم لفظت أنفاسها الأخيرة وماتت من الكمد والحزن والبكاء الشديد على ما لاقته من تعذيب فى أواخر أيامها على أيدى فلذات أكبادها الذين تحولت قلوبهم إلى حجارة، بل إن من الحجارة ما يتدفق منها المياه والأنهار!

مراهق يذبح أسرته بالكامل بدون سبب!!![1]

وهناك أمثلة كثيرة نشرتها الصحف المصرية وأفردت لها مساحات لا بأس بها فى عرضها مثل الجريمة البشعة التى قام بارتكابها مازن - ١٧ عامًا - الطالب بمدرسة التأهيل المهنى الذى قام بقتل والده - ٤٣ عامًا - ووالدته - ٤٠ عامًا - والتى تعمل مساعد شرطة بسجن النساء بالقناطر الخيرية، وشقيقه حمادة - ١٩ عامًا - وممدوح - ١٠ أعوام - وذلك بمنزله بالقناطر، وذلك دون سبب واضح، وبعد ما قتلهم جميعًا قال لهم: أنا أحبكم جدًا ولكن الموت أفضل لكم أريد أن أكون صاحب كل شيء وأتصرف فى كل شيء والمالك للبيت والسيارة وكل الأموال والآن فقط أستطيع أن أفعل أى شيء، ويضيف الطفل القاتل: كما أنى أكرهكم وأكره عطفكم علىّ وأكره خوفكم منى وأكره تحكمكم فى شئونى وحياتى!

---

(١)جريدة الأهرام، ٢٠٠١/١١/٧ م.

ابن يقتل والده بعد علمه باعتزام الأب الزواج!!! [1]

فى محافظة المنيا جرت جريمة بشعة للغاية عندما تجرد شاب من مشاعره وأحاسيسه وقام بتهشيم رأس والده بشومة غليظة عدة مرات دون شفقة ولم يتركه إلا وهو جثة هامدة وبعد أن تأكد الابن ويُدعى جمال - ٢٢ عاما - ويعمل عاملا زراعيًا فى أرض والده أن والده قد لفظ أنفاسه الأخيرة قام بإلقاء جثته فى مياه الترعة بعد أن وضعها بداخل جوال، وعندما تم القبض على الابن اعترف أمام النيابة أن والده كان يحاول ويعتزم الزواج من إحدى الفتيات التى تقيم بجوار أسرته بعد وفاة أمه، بالإضافة إلى قيام الأب ببيع ١٢ قيراط أراض زراعية من أرضه- أى أرض ابنه- التى ورثها من أمه من أجل أن يتزوج من هذه الفتاة صغيرة السن فقام بمغافلة الأب ثم قتله عن طريق تهشيم رأسه بشومة غليظة، ثم قام بإلقائه فى الترعة.

جحود الأبناء جعل الأم تقتل نفسها!!! [2].

كما شهدت منطقة وسط البلد فى القاهرة بالتحديد فى شارع الموسكى حادثًا مأساويًا عندما شنقت أم نفسها للتخلص من حياتها بسبب جحود أبنائها وعدم زيارتهم لها والإنفاق عليها بعد طلاقها من زوجها بفترة طويلة وذلك عقب إصابتها بمرض نفسى، حيث قام الزوج بتطليقها غيابيًا وتزوج من أخرى أقل منها فى السن وأكثر منها جمالا، إلا أن الزوجة - ٥٠ عامًا - لم تتحمل ذلك فأصيبت بمرض نفسى شديد للغاية خاصة بعد جحود أبنائها وعدم اهتمامهم بها، ورعايتهم لها والسؤال عنها بالسنوات حتى شعرت بأن الدنيا قد ضاقت بها فقامت على الفور بشنق نفسها وانتحرت حتى تتخلص من الدنيا إلى الأبد.

---

(١) جريدة الأهرام، ٢٠٠١/١٢/٥ م.

(٢) جريدة الوفد، ٢٠٠٤/٢/٥ م.

ويُرجع الدكتور عادل صادق أستاذ الطب النفسى جرائم الأبناء إلى عدة عوامل منها:

١ - عامل المحاكاة الذى يلعب دورًا أساسيًا عند الأطفال من خلال قيام الطفل بمحاكاة جريمة قتل، ذلك عن طريق مشاهدة الأفلام والمسلسلات التى تتسم بالقسوة والعنف.

٢ - العنف داخل الأسرة والذى يتضح من خلال التراشق اللفظى وتجاهل مشاعر أفراد الأسرة لبعضهم البعض، أو اعتداء رب الأسرة على الأم بالضرب أو على أحد الأبناء علاوة على العنف الذى يشاهده فى الشارع أو المدرسة أو العمل.

٣ - جفاف العلاقات بين أفراد الأسرة وانعدام مشاعر الحب والمودة والرحمة بين أفرادها.

٤ - الاستعداد الإجرامى عند الأطفال، بمعنى أن يولد الطفل ولديه الاستعداد الإجرامى ويولد عدوانى الطبع قد يكون السبب أن تربيته فى الأسرة الطفل الثانى مما قد يشعر معه أنه يحصل على نصف الاهتمام من أفراد الأسرة مما يدفعه لارتكاب جريمة القتل نتيجة هذا السبب.

٥- غياب الأم لفترات طويلة عن المنزل يكاد هذا العامل يكون هو العامل المشترك بين كثير من حالات انحراف الأبناء.

وقد ترتب على غياب الأم سواء للعمل أو لقضاء حاجة الآتى:

- إدمان الأطفال، وهناك حالات كثيرة لإدمان الأطفال نتيجة تعرفهم على أصدقاء السوء فيصبح الطفل عضوًا فى عصابة الإجرام بعد ذلك.

ويرى الدكتور عادل أيضًا أن للفيلم السينمائى والتليفزيون دورًا فى تحريك النوازع العدوانية عند الأبناء والتأثير عليهم بشكل غير مباشر فى تكوين أفكاره.

- وأن هناك بعض الكلاسيكيات فى العلاقة بين الأبناء والآباء والأمهات، هذا المثلث الابن الأب الأم يسمى فى علم النفس باسم «عقدة

أوديب» وهى منطقة اللاشعور لدى الطفل أو عقله الباطن، وهى رغبة كامنة فى التخلص من الأب إلى حد الرغبة فى القتل ولذلك ينشأ عند الطفل صراع رهيب يسمى «صراع الكراهية والحب»، فالطفل هنا يحب أباه ولكنه فى نفس الوقت يكرهه «كراهية القتل» لأن هذا الأب غزا قلب الأم واستحوذ عليها. فهو فى اتفاق غير مكتوب وغير معلن فدائمًا فى المشاكل التى تنشأ بين الأب والأم نجد أن الطفل الذكر يأخذ صف (أمه) والفتاة تأخذ صف الأب وقد تحدث بعض الجرائم التى يرتكبها الابن مع الأم ضد الأب أو العكس الابنة مع الأب.

وتؤكد الدكتورة نجوى حافظ بالمركز القومى للبحوث الجنائية والاجتماعية على تأثر الأبناء بصور ونماذج بعيدة كل البعد عن قيمنا وأخلاقياتنا والتى طبعت الحياة بالخارج بلون وردى مغر يتناقض مع الواقع الذى يعيشه الطفل داخل مجتمعه خاصة بعد تحول العالم إلى قرية صغيرة، تقول: لا نستطيع أن نغفل الجانب أو البعد السياسى وهو انحراف سلوك الصغار.

فهيمنة الكتلة الواحدة أو المجتمع الأمريكى على المجتمع الدولى بعد انحسار الكتلة الشرقية أعطى فرصة لانبهار العالم الثالث - ومن بينه مصر - بالثقافة الأمريكية والتأثر بها والتأثير على نفوس أفراد المجتمع ومنهم الصغار.

بالإضافة إلى المتغيرات الاقتصادية العالمية التى تضع بصماتها على المجتمع المصرى وما حدث من انفتاح على المستوى الإقليمى نتيجة للانفتاح الاقتصادى مما يترتب عليه نزوح وهجرة الكثير من أفراد المجتمع إلى الدول البترولية الغنية ثم عودة هؤلاء مرة أخرى إلى الوطن بثروات كبيرة ونتج عن ذلك شرائح جديدة بالمجتمع المصرى لهما مواصفاتها وأخلاقياتها وتقاليدها.

بينما ظلت بعض الشرائح الأخرى كما هى ومن هنا نشأت فجوة

كبيرة بين هذه وتلك ونتج عن ذلك قيم مختلفة جديدة وصراعات وتناقضات ونشأ صراع مرير بين القيم الجديدة التى تدور حول المادة وبين القيم الأخرى الراسخة فى المجتمع.

ونشأ خطان متوازيان فى قيم المجتمع لا يتقابلان أبداً هما:

أولا: قيم المجتمع الأصلية المترسبة فيه.

ثانيًا: قيم واردة عليه نتيجة لسياسة الانفتاح.

وتشير إلى أن الازدواجية التعليمية فى مصر من خلال وجود مدارس أجنبية وأخرى حكومية وما يترتب على الأولى من إيجاد فرص عمل مناسبة للشباب بمرتبات مغرية على العكس من انتظار طابور طويل من خريجى المدارس الحكومية الذين لا يجدون فرصة الحصول على العمل، ويترتب على ذلك معاناة الشباب والأحداث من البطالة والفراغ والإحباط التى تؤدى إلى طريق الجريمة.

وتؤكد أيضًا على مفاهيم اجتماعية جديدة ترتبط بالطموح الشخصى للفرد المصرى الذى لم يعد الطموح مرتبطًا فى ذهنه بمستوى إجادة العمل وتطويره، بل ارتبط بمفهوم الفهلوة والشطارة مما أحدث خللا فى المفاهيم التى توارثها أفراد المجتمع جيلا بعد جيل.

اختلاف القيم فى المجتمع المصرى وتغير مفهوم الطموح!!

الدكتورة جيلان عبد الحميد - رئيس قسم الطفولة والأمومة بجامعة عين شمس تشير إلى اختلاف القيم فى المجتمع المصرى بشكل لم تعد فيه الأسرة المتماسكة المترابطة موجودة حيث الأم تسعى لتحقيق طموحاتها خارج المنزل والأب يسعى أيضًا جاهدًا لزيادة دخله وجمع المال للإنفاق وتلبية احتياجات أسرته، والطفل حائر ولم يجد احتياجاته الأساسية من الحب والأمان والاستقرار والرعاية.

وتقول الدكتورة جيلان عبد الحميد: إن ظهور بعض الطفيليين والثراء الفاحش فجأة على سطح المجتمع أدى إلى انقلاب كل الموازين والقيم التى كان متعارفًا عليها فيما مضى وأن الطموح لم يعد مرتبطًا بتحقيق الدرجات العلمية والمستوى الثقافى والأدبى، بل أصبح مرتبطًا بأشياء أخرى مثل السيارة الفارهة والفيلا والثراء وإمكانية اقتناء كل وسائل الرفاهية الحديثة.

وتشير الاستفتاءات التى أجراها المركز القومى للبحوث الجنائية والاجتماعية إلى أمثلة للضحايا من النشء داخل الأسرة لأسباب متعددة:

١- تفضيل ابن على آخر مما يدفعه إلى الشعور بالغيرة والحقد على شقيقه وربما يؤدى به هذا السلوك إلى قتله.

٢- تعدد الزوجات ووجود أكثر من زوجة فى البيت الواحد، وافتقاد الأطفال إلى الرعاية والاستقرار ثم الضياع والانحراف.

٣- تعاطى المخدرات والمسكرات كنتيجة طبيعية لانشغال الوالدين عن أطفالهما ودخول أصدقاء السوء فى حياتهم الأمر الذى يؤدى إلى الانحراف وأحيانًا إدمان المخدرات.

٤- مشكلات التزاحم السكانى وما ينتج عنه من مشكلات.

٥- مشكلات سفر الأب إلى الخارج وابتعاده عن أسرته وأطفاله وما ينشأ عن ذلك من مشكلات اجتماعية.

وفى دراسة الدكتورة سميحة نصر - الأستاذ بقسم بحوث الجريمة بالمركز القومى للبحوث الجنائية والاجتماعية وجرائم العنف كشفت الباحثة عن أن صور التفكك الاجتماعى التى سادت المجتمع بداية من عصر الانفتاح فى السبعينيات كان لها تأثير كبير على زيادة معدلات الجريمة وجرائم العنف الجماعى، إذ ازدادت جرائم هتك العرض والحريق العمدى وجرائم الخطف والاغتصاب وزيادة عدد المتهمين فى القضية الواحدة مما يدل على شيوع الجريمة ذات الطابع الجماعى.

الإخوة الأعداء قتلوا بعضهم البعض!

لا تتعجب عندما ترى عنوان هذا الفصل «الإخوة الأعداء»، فالشقيقان دائمًا ليسا أعداء بل فى معظم الأحيان مرتبطان مع بعضهما البعض ومتلازمان على طول الخط، وقالوا فى الأمثال الشعبية عن الأخ «أخك ولا تهلك» وعند إصابة الفرد بجراح يلفظ بتلقائية ويقول: «أخ»!

والقرآن الكريم ذكر فى بعض آياته مدى الأهمية العظمى للأخ عندما جعل كلمة الأخ مقدمة على الأم والأب عند يوم الفرار الأعظم يوم القيامة، فيقول عز من قائل: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾ (عبس/ ٣٤ - ٣٦). وتفسير هذه الآية الكريمة كما جاء فى تفسير ابن كثير بأن الفرد يراه كل من أخيه وأمه وأبيه وأصحابه وزوجاته أو زوجته وأبنائه ويفر منهم من صيحة يوم القيامة التى سماها القرآن بالصاخة، والصاخة من أسماء يوم القيامة، وسميت بذلك لأنها تصخ الأسماع أى تبالغ فى إسماعها حتى تكاد تصمها.

وقد ذكر فى تفسير هذه الآية بأن المرء يفر من الأحب فالأحب والأقرب فالأقرب من هول ذلك اليوم. وهذا دليل على عظيم منزلة الأخ فى الإسلام.. وجريمة قتل الأخ لأخيه لم تكن حديثة العهد أو ظاهرة موجودة منذ قرون من السنين، بل هى تعتبر فى الحقيقة أول جريمة تقع على وجه الكرة الأرضية، بل ومنذ بدء الخليقة الأولى، عندما قتل قابيل شقيقه هابيل أبناء سيدنا آدم عليه السلام والسيدة حواء. ومن يومها وأصبحت الجريمة هذه موجودة مثلها ومنتشرة حتى وقتنا هذا، بل وتسللت داخل الأسر المصرية بشكل مخيف، ومهددًا فى الوقت نفسه الاستقرار الأسرى المنشود فلم يمر يوم دون أن تقرأ فى الصحف عن جريمة قتل بطلها أحد أفراد الأسرة ضد الآخر وغالبًا ما يكون بطلها شقيقين: قاتل ومقتول.

وكم من أسرة تهدمت وانهارت أعمدة بنائها بسبب هذه الجريمة وغيرها بسبب الشجار على الميراث أو طمع فى مال، أو خلاف حول المخدرات أو سرقات أو أخذ بالثأر فى قرى الصعيد والأرياف وفى كل مكان، أو بسبب الخلاف على رأى معين، أو بدافع الكرامة والغيرة وحفظ الشرف والسمعة فى جرائم قتل الأخ لأخته مثلا عندما تُدان فى جريمة ارتكاب زنا أو أى جريمة مخلة بالشرف.

وعندما نقلب فى أوراق هذا الملف من واقع دفتر أحوال الأسرة المصرية فسوف نجد العديد من الحوادث والمآسى التى يشيب لها الولدان وتدمى لها القلوب وتقشعر منها الأبدان، وذلك كما روتها ونشرتها العديد من الصحف وأفردت لها مساحات كبيرة عنها، وقد وجدت فيها حكايات وقصص وروايات أبكت لها القلوب.

وهناك بعض من هذه الحوادث التى نشرتها الصحف واخترنا منها البعض وقمنا بإعادة صياغتها وكتابتها.

أخ يقتل شقيقه الأكبر
ثم يحرق جثته حتى لا يكتشف أمره!

هى جريمة بشعة من أبشع الجرائم التى قرأنا عنها أو سمعناها من قبل، فقد تجرد شاب عمره ٢٦ عامًا من مشاعره وإحساسه وقام بقتل شقيقه الأكبر الذى يبلغ عمره ٣٠ عامًا.

فقد كان يعمل - القتيل - مهندسًا زراعيًا وكان له شريك فى مشروع زراعى، بعدما حصلا على قرض من البنك بضمانه وفشلا فى سداده بسبب تعقيدات إدارية وإجرائية، فحدث بينهما خلاف شديد تحول بعد ذلك إلى مشاجرة تطورت بعدها إلى جريمة بشعة عندما أخرج الأخ الأصغر سكينة من بين طيات ملابسه وسددها فى قلب شقيقه الأكبر، ولم تنته عند هذا الحد بل تمادى الشقيق الأصغر فى قسوته وقام بإشعال النار فى جثة شقيقه ليخفى معالم جريمته، ثم ادعى - زورًا - عند اعترافه بالجريمة أنه لم يكن بوعيه عندما فعل ذلك. حيث أكد على وقوع خلاف بينه وبين شقيقه الأكبر بسبب طلب الأصغر أن يبيع السيارة التى اشتراها له والده حتى نتجاوز هذه الضائقة المالية. وهى تعثر مشروع تربية الماشية فى قرية بمحافظة الدقهلية، فقام البنك بالحجز على المشروع وعندما حدثت بينهما مشادة كلامية وتطورت إلى عراك وتشابك بالأيدى، وضرب الأخ بعصاه الغليظة على رأسه ثم غرس سكينة فى بطنه، ثم قام الشقيق الأصغر بحمل جثته ووضعه فى جوال ثم انتقل به إلى مكان متطرف وأشعل فى جثته النيران حتى لا يفتضح أمره.. وتم كشف الأمر بعد ذلك وتم القبض على الأخ الأصغر والذى اعترف بجريمته بعدها.

قتل شقيقه ثم قال له: سامحنى يا أخى!

لم يخطر ببال أهالى المنطقة التى يسكن فيها كل من الشقيقين «سيد» و «ياسر» اللذين كانا يحبان بعضهما البعض وهما أقرب إلى بعضهما البعض من أنفسهما، حيث إن كل واحد يبوح بأسراره الخاصة إلى الآخر، ولا يتوانى أحدهما عن تقديم المساعدة أو الأموال لأى منهما، على الرغم من أن لهما أربعة أشقاء آخرين يصغرونهما فى السن، ولكن درجة حب وعطف وتقرب «ياسر» من «سيد» فاقت حب كليهما لباقى أفراد أسرتهما، «فسيد» هو الأخ الأكبر الذى يتولى مهمة رب المنزل بعد وفاة والده فى حادث سيارة أثناء عمله كسائق تحت الطلب، حيث يقوم بتوصيل البضائع للزبائن من مكان إلى آخر، وتوفى أثناء نقله لبعض الأقمشة فى حادثة مأساوية على الطريق الصحراوى، وترك من ورائه زوجته والأبناء الستة، وقرر بعدها الأخ الأكبر «سيد» أن يترك التعليم ويتفرغ للعمل حتى يستطيع أن ينفق على أهله، كما قرر شقيقه «ياسر» نفس المصير وساعدتهم «الأم» فى بعض الأعمال التى تدر عليهم بعض ما يعينهم على مطالب الحياة وقسوة الأيام. وكان «ياسر» كثيرًا ما يتعارك ويتشاجر مع أشقائه الأربعة وأمه لأتفه الأسباب ويظل ثائرًا، إلى أن يأتى شقيقه الأكبر «سيد» يشتكى له ضيقه وهمه. وذات مرة كان «سيد» فى سفر إلى مدينة الإسكندرية لكى يتسوق منها ببعض البضائع من هناك يحتاجها فى عمله بالقاهرة، وقعت مشاجرة عنيفة بين «ياسر» وأشقائه الأربعة بسبب خلافات مالية، وظل «ياسر» وقتها يتفوه بألفاظ نابية وسباب وضرب لأشقائه، فقام أحدهم بالاتصال بشقيقه «سيد» لكى يحضر من أجل تهدئة ثورة شقيقه «ياسر» وبالفعل ترك «سيد» عمله بالإسكندرية وعاد بسرعة إلى القاهرة عندما أخبروه بأن الأمر خطير جدًا، فتوجه إلى مكان الحادث وكان فى الحارة التى يقطنون بها،

فوجد شقيقه «ياسر» يقوم بضرب أحد أشقائه بعنف، ويعذبه بسكين فى يديه، ويتلفظ «بأحط» الكلمات الخادشة للحياء والآداب، كما أنه يوجه السباب لأمه مما زاد من غضب شقيقه «سيد» فقام بعدها بنهره وتوبيخه وحاول إيقافه عن سلوكه الطائش، وتهدئته خاصة بعد ما لاحظ وقوع شقيقه «ياسر» تحت تأثير الخمر التى كان يتناولها بشراهة فى الفترات الأخيرة قبل الحادثة والتى زادت من عصبيته وثورته، والتى جعلته يوجه اعتداءه على أمه، فأخذ «سيد» السكينة التى كانت فى أيدى «ياسر» شقيقه، وقام بتهديده بها من أجل أن يحجم عن سلوكه المشين هذا، فما كان من «ياسر» إلا أن قام بإحضار شومة كبيرة وضرب «سيد» على رأسه بقوة من خلفه، فما كان رد فعل «سيد» وقتها إلا أن قام بطعنه بالسكينة التى كانت معه بكل قوته عدة طعنات نافذة، فسقط «ياسر» على الأرض والدماء تسير وتنهمر من جسده، وفارق الحياة على الفور ولم تصدق الأم ما تراه عينها وقتها، ولم تتحمل رؤية هذا المنظر أمامها فسقطت مغشيًا عليها، وبعد إفاقتها ظلت تصرخ صراخًا شديدًا وتبكى على ضياع فلذة كبدها «ياسر» الذى «مات»، و«سيد» الذى سجن وضاع مستقبله ومستقبل أسرته.

مراهق يعتدى على ابنة خاله - ٩ سنوات - ويقتلها!

عندما شعر الطالب بالمرحلة الإعدادية بصورة محبوبته التى لم يتعد عمرها ٩ سنوات تجرى فى جسده مجرى الدم ولا يستطيع أن يفارقها أو أن يبتعد عنها أو يمحوها من خياله. وكلما رآها تعلق قلبه بها أكثر وأكثر ويظل جالسًا معها لفترات طويلة من الوقت.. وظل الطالب المراهق -١٦ سنة- يتردد على بيت خاله لكى يرى محبوبته ويتقرب إليها ويلاعب خصلات شعرها الناعمة، ويحاول فى كل مرة تقبيلها فى غفلة من أهل البيت ولكن الفتاة كانت فى كل مرة تتهرب منه وتتمانع وترفض ذلك

بشدة، ولأن أخلاقها وآدابها تمنعها من ذلك.. وظل المراهق يحاول مرات ومرات معها دون أن يشعر بالإحباط واليأس من رفض ابنة خاله له، وفى إحدى المرات عندما توجه المراهق لزيارة خاله فى منزله تعمد ابن الأخت المراهق أن يظل من وقت جلوسه بالمنزل حتى ساعات متأخرة من الليل، يلهو ويلعب مع أبناء خاله، فطلب منه خاله أن يبيت هذه الليلة معهم ثم يذهب إلى بيته فى الصباح الباكر، ولم يكن يشعر الخال بالمؤامرة التى يدبرها ابن أخته لابنته الصغيرة التى لم تبلغ من العمر سوى تسع سنوات.. وبعد أن استغرق كل أفراد الأسرة فى النوم وراح يتأكد المراهق من ذلك بنفسه، أيقظ ابنة خاله الصغيرة وراح يمزح معها، وطلب منها أن تجلس معه لبعض الوقت ثم قام باستدراجها إلى غرفة نومها مرة أخرى تحت زعم مشاهدة التليفزيون، فحاول أن يعتدى عليها جنسيًا وعندما فشل فى ذلك، وهمّت الفتاة الصغيرة بالصراخ للاستغاثة بأسرتها قام المراهق بكتم أنفاسها بيديه حتى غابت عن الوعى تمامًا، وراح بعدها يعتدى عليها بوحشية حيث انتابته حالة هيستيرية وقام بعدها بإحضار سكينة من المطبخ وذبحها، ثم قام بغسل يديه بعد أن انتهى من مهمته ثم تسلل بعدها إلى غرفة نوم شقيق الطفلة ونام بجواره بهدوء وكأن شيئًا لم يكن، وعندما استيقظت الأم فى الصباح الباكر، قامت بإيقاظ زوجها من أجل تناول طعام الإفطار، وطرقت باب غرفة ابنتها الصغيرة وفتحته، فوجدت ابنتها ملقاة على الأرض ومقطعة الأجزاء والدماء ملطخة فى جميع أركان الغرفة فصرخت بصورة هيستيرية، وعندما أسرع كل أفراد الأسرة «الزوج والأبناء والمراهق» إليها لم يصدقوا ما رأوا، ولكن الزوجة لاحظت وجود دماء على ملابس المراهق، فانهالت عليه ضربًا ومعها زوجها - خاله - والأبناء حتى اعترف بجريمته البشعة وتم اقتياده إلى السجن بعد ذلك، حيث اعترف أمام النيابة بحبه وبرغبته الشديدة فى ابنة خاله منذ أن رآها أول مرة عندما

كانت فى زيارة لهم فى بيته منذ سنوات طويلة.. وظل بعدها يتحين الفرصة لكى ينال منها، ولكنه فوجئ بممانعتها له ورفضها الاستجابة له، وأنها سوف تفضح أمره وتكشفه لأهلها، فلم يشعر بنفسه إلا وهو يقوم بكتم أنفاسها وقتلها والاعتداء عليها.

شقيق يذبح شقيقته بعدما وجدها مع عشيقها!

يتميز أهالى الصعيد والأرياف بعادات وتقاليد وأعراف لم يستطيعوا أن يحيدوا عنها على الإطلاق، وتستمر هذه العادات مع مرور الزمن وتتوارثها الأجيال المتعاقبة فى كل زمان ومكان. وقد اعتادوا - بعضهم - أن ينصبوا من أنفسهم قضاة وحكامًا يصدرون الحكم على الضحية وينفذونه فى آن واحد.

والحكاية التى بين أيدينا تحدث فى كل وقت بسبب مشاعر الثأر المتأصلة بشدة فى نسيج مشاعر أهالى الصعيد وغيرهم. وترجع بداية هذه الواقعة عندما قدم شاب يدعى (س . أ) من بلدة سوهاج إلى القاهرة من أجل البحث عن الرزق لمساعدة والده الحاجب بمحكمة سوهاج فى تربية أخواته الصغار.. وتمر الليالى والأيام ويشعر هذا الشاب بالرضا والقناعة.. ولكن لم يكن يعرف أن القدر كان يرسم له خطًا آخر من أشكال الحياة خلف قضبان حديدية.

فقد فوجئ الشاب بتلغراف من والده يحمل فى طياته لهجة شديدة ممزوجة بشىء من العنف.. أمره فى كلمات مقتضبة أن يذهب للاطمئنان على شقيقته الوحيدة فى محافظة السويس بسبب طول مدة انقطاع أخبارها عنه وعن أسرتها.

فأجاب الشاب مطلب والده وقرر أن يفاجئ شقيقته الوحيدة بزيارته لها للاطمئنان عليها.. فاستقبلته بشوق وترحاب حار من أخت لأخيها.. وأعدت له ما لذ وطاب من مأكولات ومشروبات وقضى يومًا كاملا

عندها.. وعندما سألها عن أحوال زوجها.. انطلقت دموع من عينها.. وقالت له بأنه قام بتطليقها، وترك لها الشقة تعيش فيها بمفردها فاغتالت أفكاره ومشاعره أحاسيس كبيرة بالقلق والتوتر والخوف على مستقبل شقيقته وسيرتها وسط الناس عندما تعيش بمفردها فى بلد غريب.. وحاول إقناعها بالسفر والعودة مرة أخرى إلى سوهاج، ولكنها رفضت بشدة.. واعترضت لأنها اعتادت حياة المدينة كما تقول.

وكان شقيقها يتوجس خيفة من تركها بمفردها تعيش بالمدينة، وزاد من قلقه وتوتره ما كان يسمعه من أقاويل متناثرة هنا وهناك تنال من سيرة أخته المطلّقة.. ولم يصدق هذا الكلام ويعتبره هراءً ومتسائلا فى الوقت نفسه ويقول: هل هان شرفها وشرف أسرتها عليها بهذه البساطة.. وهل نسيت تقاليد وأخلاقيات الصعيد؟

وعلى غير العادة حضر الشقيق إلى منزل شقيقته فى منتصف الليل.. وطرق باب الشقة طرقات خفيفة ولكنه لم يستجب له أحد.. فزادت طرقاته عنفًا وشدة.. وبعد فترة من الوقت.. وبعد إلحاحه عليها.. استجابت له وقامت بفتح الباب.. وهنا كانت الصدمة التى أصابته بالذهول.. حيث رأى شقيقته فى أبهى صورها ومتزينة ولكنها ترتدى ملابس خفيفة وعارية تفضح من الجسد أكثر مما تستره، فجرى إلى غرفة نومها ودخلها ولم يجد أحدًا ولاحظ الارتباك والرعب على وجه شقيقته.. فتحول وجهها إلى اللون الأحمر القانى فصدق ظنه وقام يفتش الشقة فوجد رجلا نصف عارٍ يختبئ خلف الستارة، فضربه ولكنه أفلت وهرب ثم توجه لشقيقته وأمسك سكينًا وطعنها فى صدرها حتى فارقت الحياة.. وقام بتسليم نفسه واعترف بجريمته وتم حبسه خلف القضبان لينتهى مستقبله بسبب شقيقته!

الأشقاء الثلاثة

جعلوا «علاء» مجرمًا ومدمن مخدرات!

لم يكن يتخيل الصبى «علاء» أن يصبح فى يوم من الأيام قاتلا ومجرمًا ويجلس خلف القضبان. فلم تكن الصدفة وحدها السبب فى تحويله إلى مجرم، وأن تتحول البراءة والطفولة فى ملامحه إلى علامة استفهام ودهشة كبيرة يصطدم بها كل من ينظر إلى وجهه الطفولى.

ففى القناطر الخيرية مسقط رأسه، حيث مساحات شاسعة من خضرة المزارع ورقة الفجر ونسمة الهواء النقى وزقزقة العصافير ونشاط الفلاحين سعيًا إلى الأرض. كان «علاء» معروفًا بطاعته وأخلاقه بين أقرانه من الأسرة.. فأحبه جده العمدة حبًا شديدًا وقربه إليه.. كان يغدق عليه الهدايا والنقود والاهتمام.

وعندما شب «علاء» عن الطوق وزادت سنوات عمره قليلا اعتبره جده صديقًا مقربًا إليه.. يدردشان معًا لساعات طويلة.. ونتيجة لهذا الحب.. استطاع «علاء» أن يقنع جده أن يعمل كعامل للأحذية فهو لم يحب الفلاحة فى الأرض.. ولم يعارضه والد «علاء».

وعلى مسافة ليست ببعيدة كانت هناك عيون تراقب «علاء» وتخطط لاغتيال براءته من الأشقياء الأغراب عن البلدة.. جاءوا إلى البلدة للاختفاء بعيدًا عن أعين الشرطة ووقعت أعينهم على «علاء» ذلك الصبى الصغير وانتبهوا إلى علاقته الطيبة بجده عمدة البلد والرجل الواسع الثراء.

وضع الثلاثة خطتهم الجهنمية، وبدأوها على الفور، حيث توجهوا إلى مكان عمل «علاء» وقدموا أنفسهم على أنهم زبائن يرغبون فى صنع ثلاثة أزواج من الأحذية. شعر «علاء» بالسعادة بالزبائن بعد طول فترة انقطاع عن المحل، وازدادت سعادته عندما عرض عليه الأشخاص الثلاثة صداقتهم ودعوه إلى الجلوس معهم على مقهى بالقرية. وتكررت لقاءات

الأصدقاء الثلاثة مع الصبى وهو يجهل ما يخبئه له القدر مع المجهولين الثلاثة. وامتدت الأيدى الثلاثة مجتمعة بالشر دفعة واحدة تقتلع البراءة والنقاء من روح «علاء» وزلت قدمه إلى عالم الأشرار الثلاثة.

فبدأ يتعاطى المخدرات ويتجه للسرقة، وأول طريق للسرقة من منزل جد الصبى «عمدة البلدة» ذلك المنزل الزاخر بكل ما تشتهيه العين والذى سال لعابهم له من حكايات «علاء» عن ثراء جده.

وبعد أن أصبح «علاء» عبدًا ذليلا لجرعة المخدر التى يدسها له الأشرار الثلاثة قدم كل المعلومات المطلوبة منه.. كل ركن وزاوية ومخرج ومدخل للبيت.

وتحدد ميعاد اقتحام المنزل ليلا.. كما قرر الأشقياء الثلاثة وفى ظلمه الليل الحالك تسلل ثلاثتهم وفى ذيلهم يجرون «علاء» بإرادة مسلوبة يفعل كما يفعلون.. يطيع أوامرهم بلا تذمر أو مناقشة.

وعندما قام الأشقياء الثلاثة بمعاونة «علاء» بسرقة الخزينة استيقظ «الجد» وطلب الشرطة فجاءت على الفور وتم القبض عليهم جميعًا، وتم حبس «علاء» إلا أن مشاعر الجد غلبت عليه فطلب العفو عنه.. وعلاجه من إدمان المخدرات، وتم سجن الأشقياء الثلاثة خلف القضبان!

التشخيص والعلاج

. وإذا نظرنا إلى الأسباب التى تدفع المتهمين إلى ارتكاب هذه الجرائم بالذات، والتى أصبحت سيفًا مسلطًا على رقاب المجتمع فنجد تفسير الدكتور أحمد خيرى إخصائى وأستاذ الطب النفسى يقول بأن هناك مجموعة من العوامل وراء انتشار هذه الحوادث فى المجتمع، وهى:

١- ترحال الأسرة المصرية، بمعنى آخر أن معظم أفراد الأسرة غير موجود باستمرار فكل فرد منشغل بعمله.

٢- اختلاف الأدوار حيث إنه لم تعد الأدوار فى الأسرة هى الأدوار التقليدية بمعنى أن الأب الذى يمثل القدوة والقيادة دوره أصبح هامشيًا فى الأسرة فهو إما غائب أو مطحون فى توفير احتياجات الأسرة، وفى كلتا الحالتين هو تخلى عن دوره فمن المعروف فى العلاقات الإنسانية الحميمة أن القيادة ضرورية فى الأسرة لامتصاص العدوان من أفرادها، وبالتالى غياب دور الأب القائد يسمح للعدوان بأن يتحرك بين الإخوة بدون ضوابط.

٣- عدم وجود هدف يلتف حوله أعضاء الأسرة، ودور الأم والأب هو توضيح الأهداف على مستوى كل فرد وعلى مستوى الأسرة ككل حتى لا نجد مجموعة من الأهداف المتناقضة التى غالبًا ما تكون متصارعة فيما بينها.

٤- عدم وجود مجموعة من القيم والمعايير الإيجابية كالحب والخير ومساعدة الآخرين والأمانة والصدق والثواب والعقاب.

٥- سقوط ما يسمى باحترام الكبير داخل الأسرة أى احترام الأخ الأكبر من قِبَل الأخ الأصغر لأن الأخ الأكبر فى الأسرة المصرية هو بديل عن الأب وعندما يختفى هذا الاحترام تتفجر الصراعات داخل الأسرة.

٦ - أصبح تقييم الإخوة بمدى الإنجازات الاقتصادية فالأخ الغنى حسن الحظ وهو القوى الذى له الكلمة العليا على بقية الإخوة بصرف النظر عن تعليمه ونضجه وكفاءته، وعندما تسود القيم الاقتصادية بين الإخوة تتوارى بقية القيم خجلا ويحدث الخلل بين الإخوة وبالتالى الأسرة كلها والمجتمع كله.

هذا وقد تضمن تقرير الأمن العام لعام ٢٠٠٢/٢٠٠٣ والذى أعدته مصلحة الأمن العام بوزارة الداخلية أرقامًا مزعجة، حيث أشارت إلى أن جرائم القتل العمد قد ارتفعت خلال عام واحد إلى ٨٤٣ جريمة قتل بعد أن كانت ٧٩٧ أى بمعدل زيادة ٤٦ جريمة، كما ارتفعت جرائم الضرب الذى أفضى إلى موت إلى ٢١٥ حالة.

وفى دراسة هامة تحت عنوان «العنف فى الأسرة المصرية» للباحث ظريف شوقى بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية أشار فيها إلى أن هناك ٨٧,٢ ٪ من مرتكبى جرائم العنف الأسرى من المتزوجين مقابل ١٢,٨ ٪ لم يلتحقوا بقطار الزواج بعدما يوضح أن الزواج من الأسباب التى تضغط على الشخص لدفعه إلى العنف الأسرى بما ينجم عنها نوبات عدوانية تجاه الزوجة.

الدراسة أجريت على ١٨٨ شخصًا منهم ٩٤ شخصًا المودعين فى السجون لم يرتكبوا أى عنف ضد أى من أطراف الأسرة، حيث أثبتت الدراسة أن ٦٢,٨ ٪ من مرتكبى جرائم العنف تتراوح أعمارهم بين ٢٦ - ٤٤ عامًا فى حين لم تتجاوز نسبة من تقل أعمارهم عن ٢٥ عامًا ١٢,٨٪، ولم تصل نسبة مرتكبى جرائم العنف فى الفئة العمرية التى تصل إلى ٥٥ عامًا إلا ٧,٤٪ فقط.

وهذا يدل على أن الشريحة العمرية من ٢٦ - ٤٤ عامًا هى الأكثر ممارسة للعنف الأسرى، كما أكدت الدراسة على أن الذكور يشكلون أغلبية مرتكبى جرائم العنف بنسبة ٧٨,٧٪ بينما تمثل الإناث نسبة

٢٢,٣٪، وقد خلصت الدراسة إلى أن نصف مرتكبى جرائم العنف كانوا من الأميين وإذا ما أضيف لهم أصحاب المستوى القليل من التعليم تصل النسبة الشكلية إلى ٨١٪.

وقد أشار الدكتور أحمد المجدوب خبير علم الاجتماع بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية إلى أن إحدى الدراسات الاجتماعية أشارت إلى أن ٤٠٪ من المصريين مصابون بالاكتئاب، ٦٠٪ من جرائم القتل من الجرائم الأسرية.

وعن الرأى الدينى تقول الدكتورة عبلة الكحلاوى عميد كلية الدراسات الإسلامية بجامعة الأزهر: إن الأبناء يرون الدنيا من خلال آبائهم فهم فى أعين أبنائهم رمز للفضيلة والرحمة والحنان فإن وجد الفتى ما يناقض ذلك يشرخ فى الجدار النفسى وأول ما يُلفت إليه الأبناء هو ما يتعلق بهم مباشرة كالمفاضلة بين الشقيقين.

وإذا ما تعمق هذا الشعور فى النفس كان له آثاره السلبية التى لا تتحملها الطفولة البريئة وقد تصل إلى العدوانية مع حسن الرعاية وتورث الكراهية والحقد والنفور وتستدعى الحقوق وتخل بالمقصود من عمارة الدنيا بالحب والصفاء، والعدل فى الحب بين الأبناء أولى بالاتباع لما له من أثر فى الولد والمجتمع ويؤيد ذلك قول رسول الله ﷺ: «اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم» كما أوصى بإكرام البنات والحنو عليهن وعدم التفرقة بين الأبناء بسبب النوع حيث يقول الرسول ﷺ: «من ابتلى من هذه البنات بشىء فأحسن إليهن كن له سترًا من النار» وقوله ﷺ: «ومن عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو هكذا، وضم أصابعه» صدق رسول الله ﷺ.

وأضف إلى ذلك قوله ﷺ: «كلكم راع ومسئول عن رعيته، الأب راع فى بيته ومسئول عن رعيته والأم راعية فى بيتها ومسئولة عن رعيتها» صدق رسول الله ﷺ.

الدكتورة سعاد صالح أستاذ ورئيس قسم الفقه فى جامعة الأزهر تقول بأن الشريعة الإسلامية اهتمت ببناء الإنسان وذلك حتى تقوم الأسرة على أسس ثابتة وقوية تضمن لها الاستمرار والاستقرار، ويعنى مفهوم الأسرة فى الإسلام النقاء لذلك جعل الله تعالى الأسرة آية من آياته التى يمتن بها على عباده ومعجزة من معجزاته فى الكون حيث يقول تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ (الروم/٢١) ولم يقل لتسكنوا عندها لأن «عند» تفيد ظرف المكان أما «إلى» تفيد سكن الأرواح والقلوب. .

وأهم مرحلة فى تكوين هذه الأسرة هو الاختيار، وقد بين الله الأوصاف التى يجب توافرها فى المرأة أهمها الدين والصلاح وحسن الخلق مع مراعاة مبدأ الكفاءة بين الزوجين بمعنى التقارب فى كل من المستوى المادى والاجتماعى والثقافى والعمرى.

أشهر جريمة أسرية فى العالم العربى:
«ريا وسكينة»

تعتبر قضية «ريا وسكينة» من القضايا المهمة فى تاريخ بلدنا المعاصر. فلا يمكن أن تمحى من ذاكرة التاريخ لدرجة أن الكُتّاب والمؤلفين قد قاموا بتحويلها إلى أعمال درامية فى السينما والتليفزيون وكذلك على المسرح، وكانت مسرحية «ريا وسكينة» التى قام ببطولتها النجمتان الشهيرتان شادية وسهير البابلى وجسدت كل منهما الدور ببراعة تامة للغاية لدرجة أن العمل المسرحى هذا لاقى قبولا جماهيريًا كبيرًا واستمر لأعوام كثيرة على خشبة المسرح. وكذلك فيلم «ريا وسكينة» بطولة الفنان يونس شلبى وشريهان وأخيرًا وليس بآخر قدمت كل من الفنانة عبلة كامل والفنانة سمية الخشاب شخصيتى ريا وسكينة فى مسلسل كبير عُرض فى شهر رمضان من عام ٢٠٠٥ ويحمل المسلسل اسم «ريا وسكينة». وهكذا فقد خلدت كل من السينما والمسرح والتليفزيون هذه القضية لتبقى فى ذاكرة التاريخ عن أبشع الجرائم الأسرية التى شهدتها مصر فى بداية العشرينيات من القرن العشرين حيث كانت هذه القضية جديدة على المجتمع المصرى تمامًا.

وكانت «ريا وسكينة» شقيقتين قد أصبحتا أشهر قاتلتين فى العالم العربى من المحيط إلى الخليج. حيث قامتا بالاشتراك مع عصابة مكونة من أربعة رجال بخطف سبع عشرة امرأة فى مدينة الإسكندرية وقامتا مع بقية أفراد العصابة بقتل النسوة ودفن جثثهن فى ثلاثة منازل بأحياء الإسكندرية القديمة.

والغريب فى هذا الأمر أن وقائع هذه الحوادث كانت قد تمت فى الفترة ما بين نوفمبر ١٩١٩ و ١٢ نوفمبر عام ١٩٢٠ أى فى العام الذى قامت فيه ثورة الشعب المصرى بقيادة سعد زغلول ضد الاحتلال الأجنبى فى مصر.

وكانت أوراق القصة أو القضية الرسمية فى المحاكم تزيد على ألفى صفحة، وقد حفلت بالعديد من القصص والحكايات المثيرة، سواء كانت فى حياة الضحايا أو العلاقات بين ريا وسكينة وأفراد عصابتهما من الرجال. فقد فقدت الشقيقتان «الأب والأم» وظلتا بمفردهما يواجهان ظروف الحياة الصعبة للغاية، ثم التقتا بكل من حسب الله وعبد العال وتزوج الثانى بسكينة وذلك حتى يضمنا الحماية والتغطية على جرائمهما بمساعدة رجلين والبعض من المساعدين الرجال.

وفيما بين العثور على جثة أول ضحية فى مذبحة النساء التى ارتكبتها كل من ريا وسكينة، واكتشاف بقية الجثث، والقبض على ريا وسكينة وشركائهما، وحتى وقوف الجميع تحت عود المشنقة، بعد الحكم عليهم بالإعدام، كان ما يزال لديهم أمل فى الهروب من الموت بحبل المشنقة.. وطعن المتهمون السبعة فى الحكم أمام محكمة النقض والإبرام.

وقد تضمن الطعن أن الدفاع عن عبد الرزاق يوسف طلب سماع شهادة بديعة بنت ريا، لكن محكمة الجنايات لم تجب على هذا الطلب لا بالرفض ولا بالقبول!

وكان الطلب قد جاء ذكره على صفحات الجرائد التى نقلت المحاكمة ومنها جريدة «وادى النيل» التى قدم الدفاع نسخة منها، ولم يتمكن الدفاع من طلب بديعة بنت ريا بصفتها شاهدة نفى، لأن النيابة أخذت البنت ووضعتها فى أحد الملاجئ الموجودة آنذاك!

وكما نشر فى الصحف، فقد جاءت جلسة محكمة النقض والإبرام التى عقدت يوم الأحد الموافق ٣٠ أكتوبر عام ١٩٢١ برئاسة صاحب السعادة عبدالرحمن رضا باشا، وبحضور أصحاب السعادة والعزة مستر سودان وأبو بكر يحيى باشا ومستر هل وأحمد زكى أبو السعود بك المستشارين وأحمد محمد خشبة بك وكيل نيابة الاستئناف وطلعت أفندى المعداوى كاتب الجلسة..

وجاء حكم المحكمة بعدم قبول النقض بالنسبة لباقى المتهمين، وبرفضه بالنسبة لعبد الرزاق يوسف والصايغ، حيث كانت تحقيقات النيابة قد بدأت فى يناير من عام ١٩٢١ وعرض المتهمون على قاضى الإحالة فى ٧ فبراير من نفس العام، ومضى شهران بعد رفض محكمة النقض والإبرام للطعن الذى قدمه المتهمون.

وفى الخامس عشر من ديسمبر أعلنت محافظة الإسكندرية أن تنفيذ حكم الإعدام سيكون يومى الأربعاء ٢١ والخميس ٢٢ ديسمبر فى تمام الساعة الثامنة والنصف صباحًا.

وقام طبيب البوليس بإعداد تقاريره عن جميع المتهمين المنفذ فيهم حكم الإعدام شنقًا، وفى هذه التقارير سجل حسن نديم طبيب البوليس أن السيدة سكينة كان وزنها عند دخول السجن ٤٧ كيلو جرامًا وزاد وزنها داخل السجن ستة كيلو جرامات، وأصبح وزنها قبل إعدامها ٥٣ كيلو جرامًا على وجه التقريب! وقال طبيب البوليس - كما جاء فى الصحف - بأن سكينة كانت قبل إعدامها «جريئة ورابطة الجأش» وكانت تقول وتردد «أنا جدعة وحا أتشنق محل الجدعان وقتلت ١٧ وغفلت

الحكومة!» ثم نطقت بالشهادتين ثم تم تنفيذ حكم الإعدام عليها وماتت على الفور. كذلك الأمر حدث لشقيقتها «ريا» التى زاد وزنها فى السجن إلى ٥٠ كيلو جرامًا بعدما كان ٤٢ كيلو جرامًا فقط «ولكنها كانت أقل شجاعة من شقيقتها»! وقالت قبل إعدامها «ودعتك يا بديعة بنتى» وعندما أعدم حسب الله زوج «ريا» لم يكن وقتها يخشى الموت وكان جريئًا وصلبًا وقال وقتها: «أنا صحيح قتلت ١٥ موش ١٧»!!

كذلك الأمر لعبد العال فقد كان بحالته الطبيعية وكان جريئًا جدًا ورابط الجأش! وقال لعشماوى عندما هم لإعدامه: «كتف يا عشماوى» شد حيلك خليك قوى يا راجل!!

وتصف جريدة الأهرام الحادث وقتها وتقول: وقف الجميع فى دار السجن أمام غرفة الإعدام، وفى الساعة السابعة والنصف جاء حراس السجن بـ (ريا) زعيمة العصابة، وكانت لابسة ثوبًا أحمر وهو ثوب المحكوم عليهم بالإعدام - وعلى رأسها طاقية بيضاء وكانت تسير بقدم ثابتة، إلا أنها كانت ممتقعة اللون خائرة القوى.

وأوقفت «ريا» أمام الحضور فتقدم عبد الفتاح صاغ مأمور السجن ليقرأ حكم الإعدام ثم سألها المحافظ: محتاجة شىء؟!

وقالت له ريا: لا. ثم وجهت كلامها إلى بنتها وقالت لها: لك الله يا بديعة.

وعندما جاء الدور على إعدام سكينة وكان المأمور يتلو عليها حكم الإعدام، ذاكرًا أنها اشتركت فى قتل ١٧ امرأة. ولما أدخلت إلى الغرفة السوداء وفى أثناء توثيق يديها قالت سكينة: هو أنا رايحة أهرب أو أمنع الشنق بيدى.. حاسب أنا ولية.. لكن جدعة.. الموت حق!!

وأسهبت جريدة الأهرام فى وصف مشهد المحاكمة لهذه الحادثة، ووصفت مشاعر الجمهور حولها وقالت: بينما كان المحكوم عليهم يشنقون داخل السجن، كانت جماعة من نسوة الجنينة فى قسم اللبان

تهتفن ويزغردن خارج السجن: ويقلن: «ليحيا الذى شنق ريا.. ليحيا الذى شنق سكينة»!

وكانوا يغنون ويقولون: «خلوة يا أم بابين.. روحت السكارى فين»!

وكانت أشهر البلاغات التى قدمت منذ منتصف شهر يناير من عام ١٩٢٠ بالإسكندرية وبالتحديد فى قسم اللبان عن اختفاء النساء، وأول هذه البلاغات قدمته عن «عرضحال» المدعوة زينب حسن وقالت فيه: صاحب السعادة حكمدار بوليس الإسكندرية، ابنتى نظلة بنت أبو الليل البالغة من العمر ٢٥ سنة وزوجها متوفى. كانت ساكنة بجهة باب سدرة الجوانى، وتركت منزلها من مدة عشرة أيام ولم تعد. وعلمت من الجيران أن - حرمة - امرأة حضرت لها وأخذتها، وتركت الغسيل فى الطوخ، وتركت العفش - الأثاث - بدون ما ينقص شيئًا، وحيث إن ابنتى قمحية اللون نحيفة الجسم متوسطة الطول، وفى يدها غوايش ذهب وحلق ذهب وخلخال فضة وخاتم ذهب، وحيث إنه خوفًا على حياة إبنتى أو أن تكون قتلت بيد فاعل، وسرق الذهب الموجود معها، أرغب فى التحرى عنها.

وبعد نظلة.. اختفت زنوبة ثم اختفت زنوبة أخرى، ثم إختفت فاطمة العوراء، ونبوية بنت على. والأخيرة جاءت من خلال محافظ الإسكندرية الذى بدأ يتلقى بلاغات عن غياب النساء ، وفى هذا البلاغ الذى تلقاه المحافظ يقول صاحبه: «مقدمه لسعادتكم حسن الشناوى الجناينى بجوتر نقطة بوليس العزورة بالقبارى. أحيط شرف سعادتكم أنه كانت توجد حرمة تسمى نبوية بنت على، كانت تعمل سابقًا قهوجية بدمنهور، ثم حضرت إلى الإسكندرية، ومكثت تعمل قهوجية وسط بعض «بنات الليل» وقد حصل لى القسمة بزواجها بعدما تابت، وسكنت معها بجوار سيدى عماد بقسم اللبان، وكنت أتوجه يوميًا إلى شغلى فى الصباح، وفى يوم ١٤ أغسطس ١٩٢٠ عدت إلى سكنى كالمعتاد فلم أجدها، وظننت أنها توجهت إلى إحدى معارفها من الحريم، فذهبت إلى صديقى صالح

السريقوسى ونمت عنده تلك الليلة، وفى الصباح توجهت للبحث عن زوجتى فى السكن فلم أجدها وأخيرًا حضرت حرمة وسألتنى عنها، وقالت إنها أختها وحضرت لزيارتها وعرفتها أن لها عشرين يومًا متغيبة، أرجو من سعادتكم صدور أمركم بالبحث عنها، حيث إننى لا أعلم إذا كانت الآن على قيد الحياة، أو فقدت من الوجود». وكانت هذه بعض حكايات ضحايا.. «ريا وسكينة» والتى تعد من أخطر الجرائم الأسرية التى شهدتها مصر خلال القرن الماضى والحالى والقرون القادمة!!

ظاهرة زنا المحارم داخل الأسرة!

واستمرارًا للجرائم الأسرية والحوادث المتنوعة التى تقع داخل جدران البيت نتيجة العديد من العوامل والدوافع الكثيرة التى ذكرناها سلفًا، واستفاض فى شرحها المتخصصون فى شتى المجالات والعلوم.

فقد طفت على سطح المجتمع الذى يحمل بين طياته العديد من القيم والأخلاقيات والتقاليد التى توارثت عبر آلاف السنين، مجموعة من الجرائم الغريبة والشاذة فى الوقت نفسه لأنها لا تتفق مع المبادئ والقيم الأخلاقية والتعاليم الدينية المحافظة من ناحية، والتى يشعر أمامها كل من يسمعها أو يشاهدها بعينيه بالنفور والاشمئزاز والغضب الشديد إلى درجة الثورة والهياج وضرب كف على كف فى تعجب وحسرة على هذا الزمن الرديء الذى وقع فيه عدد كبير من الجرائم داخل الأسرة البعض من المتخصصين وصفها بأنها ظاهرة فى المجتمع وهى ظاهرة زنا المحارم داخل الأسرة!!

فى دراسة للدكتورة نوال السعداوى منشورة بالإنجليزية [1] وعنوانها: «الوجه المستتر لحواء: النساء فى العالم العربى» تقول فيها: إن أغلب الإناث الصغيرات تعرضن لاعتداءات جنسية أثناء سنوات عمرهن المبكرة من الأخ والعم والخال والجد، وحتى الأب. فإن لم يحدث هذا من عضو فى الأسرة فقد يحدث من المشرف فى المدرسة أو من بواب العمارة!! أو من المدرس أو ابن الجيران أو من أى رجل آخر. وفى أغلب الحالات تستسلم البنت وتخاف من أن تخبر أحدًا، لأن العقاب فى آخر الأمر سيقع عليها وليس على الجانى! إنها وحدها التى تفقد شرفها وبكارتها، أما الرجال فإنهم لا يفقدون شيئًا ويبقى ما حدث سرًا فى حياة البنت لا تجرؤ على أن تبوح به لأحد!!

وفى تعليق على هذه الدراسة كتبه الدكتور أحمد المجدوب الخبير الاجتماعى وأستاذ علم الاجتماع بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية يقول فيه: أختلف مع الكاتبة الدكتورة نوال السعداوى فيما تطرقت إليه فى نقاط معينة وهى:

أولا: ظاهرة زنا المحارم موجودة داخل الأسرة فى المجتمع ولكنها لم تصل إلى الدرجة التى وصلت إليها الكاتبة وذكرتها فى دراستها.

وثانيًا: أنها لم تستند إلى أى مصدر إحصائى رسمى أو غير رسمى.

كما أنها لم تقم بإجراء دراسة ميدانية تشمل عينة من الإناث اللاتى وقعن ضحايا لأقارب لهن اعتدوا عليهن بطريقة من الطرق التى ذكرتها لإثبات صحة ما ادعته.

ويقول المجدوب أيضًا: إن من الأسباب التى حالت دون القدرة على إجراء دراسة عن زنا المحارم فى مصر أن زنا المحارم يأتى على رأس قائمة الجرائم التى يتعذر تحديد حجمها، نظرًا للظروف التى تقع فيها، لأن النفور الشديد منها يجعل من الصعب على من يرغب فى دراستها

---

(١) جريدة صوت الأمة، تاريخ ٢٠٠٣/٧/٢١ .

ليس فقط الإقدام على الدراسة، بل مجرد التفكير فى إجرائها!

ويضيف الدكتور المجدوب: لقد تبين من الإجابات التى أدلى بها أكثر من ١٠٠ ضابط شرطة كنت أحاضرهم فى بعض الدورات التدريبية أن معظمهم صادف أثناء عمله حالات من هذا النوع كان المتهم فيها أبًا أو أخًا أو عمًا أو خالا أو زوج أم أو غيرهم من الأقارب.

وكان مصير البلاغات هو الحفظ بناء على ما لدى الضباط من تعليمات أو التمزيق بعد أن تتراجع الضحية عنها تحت ضغط الأسرة أو اعتذار الجانى وتعهده بعدم تكرار الفعل، أو بعد أن يتعهد أعضاء الأسرة بالقضاء على الظروف التى أدت لوقوع الجريمة كالفصل بين الأخ وأخته، أو طرد الأب من البيت، أو غير ذلك من الحلول التى كان السبب فى استجابة ضابط الشرطة لها هو إحساسه وشعوره بضرورة الحفاظ على كيان الأسرة وحماية المجنى عليها من الإساءة التى تلحق بسمعتها!

وفى كتاب للدكتور أحمد المجدوب الخبير الاجتماعى بعنوان: «زنا المحارم: الشيطان فى بيوتنا» صدر عن مكتبة مدبولى، يؤكد فيه المجدوب على أن موضوع زنا المحارم موجود فى كل مكان فى العالم، حتى فى أكثر المجتمعات انفتاحًا وتحررًا وفى كل مكان على وجه الأرض.

وقد اجتهد المجدوب فى الحصول على عينة عشوائية من الجرائم التى جرى الإبلاغ عنها على مدى خمس سنوات فى مصر. وقد وصل عدد الحالات إلى ٢٠٠ حالة شملت كل أشكال العلاقة، من زنا بين العم وبنت الأخ، والخال وبنت الأخت، والعمة وابن الأخ، والخالة وابن الأخت وزوجة الابن وحماها، والأخت وزوج أختها إلى آخر ١٨ نمطًا من العلاقات المحرمة.

ومن بين هذه الجرائم.. تلك الجريمة البشعة التى جرت فى إحدى الأسر، عندما طلب الابن المتزوج من والده الذى ماتت زوجته ويعيش بمفرده فى المنزل، أن يبقى مع زوجته وأولاده أثناء سفره فى الخارج

للعمل هناك، وحتى يرعاهم ويتولى رعايتهم حتى لا يتركهم بدون رجل.. فوافق الأب على ذلك، ومرت الأيام على الأب وزوجة ابنه وهما فى حالة اشتياق إلى مجالسة بعضهما البعض فى غيبة الأبناء وأثناء استغراقهم فى النوم، وكان الأب والزوجة دائمًا ما يسهران يشاهدان سويًا التليفزيون وما به من مشاهد إغراء وإثارة حتى رغبت الزوجة فى أن يمارس معها الأب الحب على طريقة الأفلام الرومانسية فانجذب الأب ومارس معها الجنس وعاشرها معاشرة الأزواج وكله فى غيبة الابن الذى لم يعلم عن هذه العلاقة شيئًا أو يتوقعها على الإطلاق!!

يقول المجدوب: إن الأسرة المعزولة عاطفيًا تحرص دائمًا على أن تبدو نموذجًا لأسطورة الأسرة الكاملة وهو ما يجعلها تلجأ إلى التصنع والتظاهر بعكس الحقيقة!

ويضيف : ففى الدراسة التى شملت ١٧٠ شخصًا ارتكبوا جريمة الزنا بالمحارم تبين أن ٣٨٪ كانوا مدمنين وأن ١٥٪ فقط تناولوا الخمر قبل ارتكاب الجريمة.

وأنه فى زنا المحارم عادة ما يكون الجانى هو السبب فى إدمان الضحية للمخدرات، متخذًا من ذلك وسيلة لجعلها مهيأة للدخول معه فى العلاقة بأقل قدر من الرفض والمقاومة!!

وعن السبب فى زنا المحارم يقول المجدوب بأن ٣٠٪ من الأسر ماتزال حتى الآن تسكن فى غرفة واحدة، وكثير من الأسر ما تزال تستخدم دورات مياه مشتركة بين غرف متعددة!، مما يضعف الشعور بالحياة بين ساكنيها نتيجة اعتيادهم مشاهدة بعضهم البعض فى أوضاع مثيرة!

حيث يؤدى الازدحام فى المسكن - كما يرى المجدوب - إلى تلاصق الإخوة والأخوات أثناء النوم مما يحرك شهوتهم ويدفعهم إلى إقامة اتصالات فيما بينهم!! وقد يساعدهم على ذلك وجود الأب والأم فى الغرفة نفسها أو غرفة أخرى قريبة ليس لها باب يخفى مَن داخلها أو

يحول دون وصول أصواتهما إلى الآخرين.

وقد يلعب دورًا فى إثارة الرغبة لدى الأبناء، وهو ما كشفت عنه البحوث والدراسات التى تناولت ظاهرة زنا المحارم [1].

ويضيف المجدوب: إن الحالة الاقتصادية المتردية التى تعيشها مصر تؤدى إلى تأخر سن الزواج الذى يلعب دورًا ملحوظًا فى وقوع زنا المحارم، خاصة إذا كانت الأسرة تقيم فى مسكن ضيق. فالمعروف من الناحية الاجتماعية - الكلام للمجدوب - أن الإنسان تتولد لديه عند البلوغ حاجة جديدة هى حاجته إلى الجنس، مما يجعله يسعى إلى إشباعها، لكن الظروف الاقتصادية تحول دون ذلك!

وكانت المحصلة أنها جعلت الزواج صعبًا بالنسبة لمعظم الشباب... مثل البطالة الشديدة وضآلة الأجور والرواتب وأزمة المساكن وغيرها.

وطبقًا لبيانات الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء.. وفى تقرير تم نشره فى نوفمبر ٢٠٠٢ فإن هناك ٣,٥ مليون فتاة فوق سن الخامسة والثلاثين لم يتزوجن، مقابل ٥,٥ مليون شاب لم يتزوجوا!

وفى يوم ٢٠٠٣/١/١٢ نشرت جريدة الجمهورية تقريرًا من الجهاز المركزى أيضًا يقول بأن عدد العزاب فى مصر ممن يتراوح أعمارهم بين ٣٥،٢٠ عامًا بلغ تسعة ملايين شخص تقريبًا.

وطبقًا للتقرير نفسه، ارتفعت نسبة المطلقات عن نسبة المطلقين، فوصل العدد الإجمالى للمطلقات إلى ٢٠٥ آلاف و٧٥ أنثى مقابل ٥٨ ألفًا فقط من الذكور، وبلغ عدد الأرامل من النساء ٢،٨ مليون مقابل ٢٨٦ ألفًا من الرجال.

ويبلغ العدد الإجمالى لغير المتزوجين حوالى ٢١ مليون شخص أعمارهم تتراوح ما بين العشرين وما فوق الثلاثين.

وفى حديث نشر فى جريدة صوت الأمة مع خبير اقتصادى يقول

---

(١) جريدة صوت الأمة، تاريخ ٢٠٠٢/٧/٢١ .

بأنه فى أوائل الألفية الثالثة كان هناك حوالى ٢٢ مليون عاطل فى مصر، وحوالى ٤٠ مليون مصرى يعيشون تحت خط الفقر.

ويقول المجدوب: إن الإنسان الذى يعانى من البطالة نادرًا ما يجد شيئًا مفيدًا يشغل نفسه به لذلك فإنه غالبًا ما يقضى وقته فى البيت وسط أخواته، حيث تنعدم الخصوصية وتتصرف البنات على سجيتهن، ومن هنا يأخذ التفكير فى الجنس الطريق إلى عقله، وعندئذ يبدأ فى التحرش بهن بقصد الوصول إلى هدفه الأخير! وهو ممارسة الجنس معهن أو مع إحداهن، فإذا أضفنا إلى ذلك عوامل أخرى مثل غياب الأم، أو الأب، وتعاطى الخمور والمخدرات وضعف الوازع الدينى والأخلاقى، والمثيرات الجنسية فى التليفزيون والإنترنت والأطباق الهوائية - الدش - فإن زنا المحارم غالبًا ما يحدث!!

محكمة جرائم الأسرة

جرائم الأسرة والمشكلات الأسرية كما رأينا متعددة ومنتشرة فى مختلف أرجاء المجتمع وكل المجتمعات وتحدث فى كل وقت وفى أى مكان، لا خلاف فى ذلك بين المدن والأرياف أو بين المناطق الحضرية والمناطق الريفية، فكلتاهما تكثر فيها المشكلات الأسرية والخلافات العائلية وإن كانت تزداد نسبيًا فى المدن عن الريف.. وهذه الخلافات تتطور باستمرار إلى أن يصل مداها إلى أروقة المحاكم، وتأخذ القضايا سنوات وسنوات حتى يتم الفصل فى النزاع فيها وخلال هذه المدة الطويلة تتكبد الأسرة المزيد من المعاناة والآلام والمشقة والعذاب والنفقات المالية والخسائر المادية والنفسية والصحية التى تتعرض لها الأسرة كلها وخاصة الزوجة التى تطلب حقوقها فى النفقة وحقوق الأبناء.

ومن أجل ذلك كـان التـفكيـر والإعـداد لإقـامـة مـحكمـة خـاصـة ومتخصصة تتولى شئون الأسرة فقط وتتسم بالعصرية والتخصص والسرعة فى فصل المنازعات، ومستقلة وبعيدة عن مختلف قضايا القتل والآداب والسرقة وغيرها تم تسميتها «بمحكمة الأسرة» حتى يتم إزالة الآلام والمعاناة على هذه الأسر.

الدكتورة فوزية عبد الستار رئيس اللجنة التشريعية بمجلس الشعب الأسبق وأستاذ القانون الجنائى تقول: إن محكمة الأسرة عبارة عن مشروع ينظم التقاضى فى النزاعات الناشئة عن الخلاف الأسرى، وتختص هذه المحكمة بنظر جميع القضايا المتعلقة بالنزاعات الأسرية.

وتشير الدكتورة فوزية إلى أنه إذا رفعت دعوى أمام محكمة الأسرة المختصة فكل الدعاوى المرتبطة بهذه الدعوى أو المتصلة بها لا بد أن ترفع أمام نفس المحكمة. ولذلك فجميع هذه القضايا - كما ترى الدكتورة فوزية - ترفع أمام محكمة واحدة، ويترتب على ذلك عدة نتائج فيها، ومنها:

- أن المحكمة تحيط بجميع جوانب النزاع لذلك فإن حكمها أقرب ما يكون إلى تحقيق العدالة، كما أن المشروع الجديد لقانون الأسرة سوف يوفر الكثير من الجهد والوقت والمال لطرفى النزاع بدلا من التشتت أمام عدة محاكم ويترتب عليه سرعة الفصل فى النزاع بجميع جوانبه بدلا من أن يصدر الحكم أو عدد من الأحكام فى فترات متفاوته قد يطول أمدها كما أن هذه المحكمة ستكون قريبة من مكان المدعى لأن الدوائر ستتعدد فى نطاق كل محكمة ابتدائية تقرب العدالة إلى المواطنين.

وتقول الدكتورة فوزية بأن هذه المحكمة - محكمة الأسرة - سيكون معها أو إلى جانبها آلية معينة تحاول الصلح بين طرفى النزاع بقدر الإمكان فإذا وفقت لا ترفع الدعوى، أما إذا لم توفق فى تحقيق الصلح يُرفع الأمر إلى المحكمة.

وتذكر أن هذه المحكمة يعاونها اثنان من الخبراء أحدهما نفسى والآخر اجتماعى وهذان سوف يقومان بالبحث والتحرى عن أسباب

النزاع وظروف الأسرة وكل ما يحيط من ملابسات، ويطرح ذلك على المحكمة حتى تكون على بصيرة بأسباب الخلاف وبالتالى تستطيع أن تكون أقدر على الحكم فى الدعوى.

وتضيف الدكتورة فوزية عبد الستار أن هناك نصًا بالغ الأهمية وهو النص الذى يقرر إلغاء الطعن بطريقة النقض فى الأحكام الصادرة من محاكم الأسرة، وهذا الإلغاء يؤخر سنوات من عمر المتنازعين لأنه فى ظل القانون الحالى رقم ١ لسنة ٢٠٠٠ كانت الزوجة إذا طلبت التطليق وصدر لها حكم نهائى من المحكمة الاستئنائية فإن هذا القانون يفرض عليها الانتظار إلى حكم النقض إذا طعن الزوج بالنقض.

وغالبًا ما يطعن للنكاية فيها وتعليقها فكانت لا تستطيع أن تتزوج إلا بعد حكم النقض إذا كان فى صالحها، وإلغاء طريق الطعن بالنقض الذى نص عليه مشروع قانون محكمة الأسرة يؤدى إلى قدرة المطلقة أن تتزوج بعد حكم الاستئناف وهذا يوفر لها سنوات الحكم بالطعن والتى قد تصل إلى ٥ سنوات أو أكثر.

ويقول المتخصصون فى وصفهم لمحكمة الأسرة بأنها سوف تتسم بالعصرية والتخصص والسرعة - وهذا الأهم - فى فصل المنازعات. كما ستكون مستقلة وبعيدة عن قضايا النصب والسرقة والقتل والآداب والخيانة والشيكات وغيرها، وسوف يسودها جو اجتماعى وستعمم فى جميع المحافظات لتخفيف المعاناه بين الأسرة فى التنقل والحركة. ويشيرون إلى أنه فى محكمة الأسرة سيمر ملف الحالة بثلاث مراحل برئاسة خبراء نفسيين واجتماعيين للمصالحة، وإذا فشلت هذه المرحلة ننتقل إلى مرحلة الاتفاق برئاسة وكيل النيابة.

وإذا فشلت تدخل مرحلة المحكمة ولكن بصورة جديدة جدًا، تتطلب أن يقوم عليها التقاضى فى العلاقات الأسرية وكوادر مدرية على أعلى مستوى لها.

ومحكمة الأسرة بدأ العمل بها فى أول أكتوبر من عام ٢٠٠٤ فهل

ستنجح فى التخفيف من الآلام والعذاب الذى تعانى منه الأسرة المصرية؟ الإجابة سوف نشهدها فى المرحلة المقبلة!

قانون محكمة الأسرة:

يعتبر مشروع قانون محكمة الأسرة من أنجح المشروعات التى تم مناقشتها فى مجلس الشعب خلال بداية الألفية الثالثة من القرن الواحد والعشرين، فقد أقره البرلمان المصرى وسوف يدخل الخدمة فى شهر أكتوبر عام ٢٠٠٤ فبعد متاعب وآلام كثيرة عانتها الأسرة فى كل بيت وبعد مناقشات طويلة ومريرة خرج قانون محكمة الأسرة للنور ليكتب شهادة ميلاد جديدة لحياة كل الأسر ونهاية لمتاعب المرأة ويضمن لكل أفراد الأسرة الاستقرار فى المجتمع، فكان بحق هدية للمرأة فى عيدها وعيد كل الأسرة والمجتمع.

والقانون الجديد لمحكمة الأسرة، كما يؤكد الخبراء، يضمن حلولا عادلة وسريعة ويختصر الأحزان والمعاناة ويوفر حياة كريمة للمطلقة والأرملة من خلال صندوق النفقة، ويحمى الأطفال نفسيًا واجتماعيًا من خلال وسائل وأساليب حضرية تفض النزاعات العائلية بصورة أخرى بعيدًا عن الصراعات القديمة.

ووفقًا للقانون الذى أقره البرلمان كما جاء فى نصوصه فإن المحكمة تتكون من ثلاثة قضاة يكون أحدهم على الأقل بدرجة رئيس محكمة ابتدائية لتحقيق أفضل أداء يناسب اختصاصها بنظر ما كانت تختص به المحاكم الجزئية والابتدائية فى قضايا الأحوال الشخصية للنفس والمال.

ويعاون محكمة الأسرة فى نظر كل دعاوى الأحوال الشخصية خبيران أحدهما إخصائى اجتماعى والآخر إخصائى نفسى على أن يكون من النساء.

كما شمل القانون إنشاء نيابة متخصصة لشئون الأسرة مهمتها تلقى الدعاوى والطعون أمام محاكم الأسرة ودوائرها الاستئنائية.

كما تكون هناك مكاتب يلجأ إليها المتنازعون قبل الذهاب إلى

المحكمة وذلك أملا فى إقامة الصلح وفض المشاحنات والمنازعات بعيدًا عن المحاكم. وهذا التشريع يتناسب مع الشريعة الإسلامية.

وعلى هذا الشكل وكما يرى الخبراء، نستطيع حل المشاكل الأسرية بأسلوب حضارى وإنسانى يتناسب مع العصر الذى نعيش فيه، وخطوة هامة على طريق النهوض بالمرأة حيث إنه اختزل لفترة التقاضى من أربع مراحل إلى مرحلتين وهما الابتدائى والاستئناف وتم إلغاء المحكمة الجزئية والنقض(1). وكل ذلك من أجل تيسير إجراءات التقاضى والتقليل من الوقت الضائع حتى يتم الفصل فى معاناة الأسرة والزوجين وأفراد الأسرة جميعهم، ويعود الاستقرار الاجتماعى المنشود للمجتمع ومن ثم ترتفع إنتاجية الفرد والاقتصاد الذى ينعكس بالفائدة على كل أفراد الأسرة جميعها.

فالأسرة أمانة سوف نقف بين يدى الله ونسأل عنها فيما فعلنا فيها.. فلا بد أن نحافظ على الأسرة وكيانها من التآكل وانفراط عقدها حتى نحافظ على نواة المجتمع واستقراره وتقدمه إلى الأبد.

ويقول الواقع بأن مكاتب التسوية الاجتماعية بمحاكم الأسرة فى القاهرة والمحافظات التى بدأ العمل بها فى أكتوبر ٢٠٠٤ نجحت فى إعادة الوئام والإصلاح بين الأزواج حفاظًا على الترابط الأسرى والاجتماعى.

وكان شيخ الأزهر الدكتور محمد سيد طنطاوى قد أيد إدخال محكمة للأسرة فى نظام القضاء المصرى مؤكدًا أن مواد هذه المحكمة ليست منفصلة عن الشريعة الإسلامية وأنها تعد إضافة جديدة للتشريعات الخاصة بالأحوال الشخصية.

ولأهمية إنشاء محاكم الأسرة تم تجهيز أكثر من ٢٢٠ مقرًا لمحاكم الأسرة على مستوى المحافظات، وتم تدريب جميع القضاة والخبراء النفسيين والاجتماعيين والقانونيين ممن سيتولون العمل فى هذه المحاكم.

وتعمل محاكم الأسرة على حل الخلافات والنزاعات الأسرية فى محاولة لعلاج بطء التقاضى أمام المحاكم الأخرى ولتحل محل محاكم

---

(1) جريدة أخبار اليوم ٢٠٠٤/٤/٣ .

الأحوال الشخصية بعد قرن كامل من العمل بالنظام القديم.

وينص قانون إنشاء محاكم الأسرة على إنشاء محاكم فى دائرة اختصاص كل محكمة ابتدائية وإنشاء دوائر استئنافية متخصصة فى دائرة كل من محاكم الاستئناف لنظر طعون الاستئناف التى ترفع اليها عن طريق محاكم الأسرة.

وتتألف محكمة الأسرة من ثلاثة قضاة يكون أحدهم على الأقل بدرجة رئيس بالمحكمة الابتدائية ويعاون المحكمة خبيران اجتماعى ونفسى وأحدهما على الأقل من النساء، ويكون حضورهما جلسات نظر تلك الدعاوى وجوبيًا ويحق للمحكمة الاستعانة بالخبيرين فى غير تلك الدعاوى من مسائل الأحوال الشخصية.

وتتولى محاكم الأسرة النظر بجميع قضايا الأحوال الشخصية من خلع وطلاق ونفقات واعتراض على الطاعة والحضانة ونسب وميراث وغيرها.

ويعتمد نظام محكمة الأسرة الجديد على اختصار مراحل التقاضى فى درجتين فقط هما أول درجة والاستئناف مع إلغاء النقض لتصبح أحكام الاستئناف باتة ونهائية.

وعن أهمية محاكم الأسرة فإنها قدمت مزايا متعددة للمرأة من بينها تقصير مدة التقاضى وتيسير إجراءاته والقضاء على تعارض الأحكام وضمان تنفيذ أحكام النفقة وتوفير جو أسرى هادئ للأسرة والأطفال، إضافة إلى توفير الوسائل العملية لمحاولة إنهاء النزاعات وديًا.

ومما لا شك فيه أن حصاد محكمة الأسرة سوف يظهر على كيان الأسرة المصرية على مر السنين، وعدم تفككها بعد فترة قليلة فى ظل حل هذه المشكلات بالطريقة التى تريح الأسرة وتضمن لها معيشة كريمة فى ظل القانون الجديد للأسرة، وكل الخدمات والاستشارات التى يقدمها أعضاء مكاتب الأسرة تتم بدون أية رسوم على الإطلاق.. بهدف الحفاظ على كيان الأسرة المصرية.

الجرائم الأسرية فى الصحافة!

تعد الصحافة ضمير المجتمع وعين القارئ والمرآة التى تعكس كل ما يموج داخل أروقة الدولة بكل ما فيها.. ويعتمد عليها الأفراد فى معرفة الأخبار والأحداث التى تقع يوميًا داخل المجتمع وخارجه وعلاوة على الوظيفة التثقيفية والترفيهية والتعليمية التى تقوم بها الصحف وكافة وسائل الإعلام الأخرى.. وعليه فإن الصحافة تؤثر على الأفراد فى كافة الأشياء، لأنها تعد النافذة لهم على هذا المجتمع وغيره ومن ثَمّ فهى تشكل اتجاهاته نحو كافة الظواهر التى تقع بداخل النظام التى تعمل فى إطاره.. والصحافة أولا وأخيرًا رسالة اجتماعية سامية يقوم عليها أفراد مؤهلون لتشكيل معارف ومفاهيم القراء داخل المجتمع، ومن ثم ينبغى أن تراعى الضوابط التشريعية والأخلاقية والقانونية حيال ممارستها الصحفية داخل المجتمع الذى تصدر فيه، وأن تلتزم بالمصداقية وعدم التهويل أو التهوين من شأن أى قضية أو مشكلة تتصدى لها سواء كانت تمس الأفراد بشكل مباشر أو غير مباشر.. والأسرة هى لبنة المجتمع والعمود الفقرى له، والمحافظة على أركانها تعنى الحفاظ على أركان المجتمع.

الدكتورة ليلى عبد المجيد عميد كلية الإعلام جامعة ٦ أكتوبر السابقة والأستاذ بقسم الصحافة بكلية الإعلام جامعة القاهرة فى الدراسة الهامة التى قدمتها كورقة بحثية إلى ندوة الإعلام وحل مشكلات المرأة المصرية والتى أقامها المجلس القومى للمرأة.. وذلك بعنوان «المعالجة الصحفية للمشكلات الأسرية والاجتماعية للمرأة المصرية» وذلك من خلال تحليل ما نشرته الصحف المصرية خلال الفترة من «٢٤ سبتمبر ٢٠٠٣ وحتى ٧ أكتوبر ٢٠٠٣» والتى رصدت أهم المشكلات الأسرية والاجتماعية الخاصة بالمرأة التى تناولتها الصحف وتصنيفها إلى مشاكل ذات طابع فردى أو شخصى ومشكلات ذات صبغة عامة.

وقد توصلت الدكتورة ليلى إلى أن أكثر المشاكل ذات الطابع الشخصى التى اهتمت بها الصحف هى: المشاكل الخاصة بالمرأة التى تعول أسرتها بعد وفاة الزوج أو مرضه أو عجزه عن العمل، والتى تتمثل فى حاجتها للمساندة والدعم والمساعدة المادية أو وظيفة تدر عليها دخلا ثابتًا، أو طلب معاش استثنائى أو قرض تبدأ به مشروعًا صغيرًا إلى جانب الحاجة أحيانًا إلى شقة صغيرة أو العلاج على نفقة الدولة. ثم يأتى بعد ذلك شكاوى الزوجات من أزواجهن والتى أخذت بعضها الطابع الشخصى ونشرتها الصحف وصاحب بعضها بعض الردود أو النصائح من الكاتب لصاحبة الشكوى، إلى جانب بعض الشكاوى التى قدمت كظواهر عامة وتمثلت هذه الشكاوى فى الآتى:

١- الضرب والسب بألفاظ بذيئة!

٢- الحرمان من العمل والبقاء فى المنزل.

٣- عدم إعطائها نقودًا أو مصروفًا شخصيًا.

٤- سلبية الزوج وقلة حيلته!!

٥- عصبية الزوج وثورته وغضبه لأتفه الأسباب!

٦- الحرمان من الخروج وزيارة أسرتها، وتعليق ذلك بيمين الطلاق!!

٧- الاستيلاء على راتبها بالكامل إذا كانت موظفة!

٨- طرد الزوجة من منزل الزوجية بحجج واهية!

٩- نزوات الزوج وعلاقاته بأخريات غير زوجته.

١٠- الإجبار على المعاشرة الجنسية رغم تعبها.

١١- تدخين الشيشة والسجائر علنًا فى البيت وأمام أولاده.

١٢- إصابة الزوج بالشلل - نتيجة حادث - مما جعله غيورًا على زوجته مما أدى إلى اندفاع الزوجة فى علاقة مع زميل لها تسلل إلى حياتها فيدمرها تمامًا!

١٣- هجر الزوج لزوجته سنوات طويلة.

١٤- الوقوع فى براثن زوج اتضح أنه نصاب، مثل السيدة التى تزوجت شابًا تعرفت عليه أثناء عملها بإحدى الدول العربية ثم اكتشفت أنه نصاب بعد أن كان قد استولى على ربع مليون جنيه ادخرته من عملها.

ومثال آخر لفتاة تتزوج شابًا أوهمها أنه معيد بإحدى الكليات ثم اتضح أنه نصاب.

١٥- بخل الزوج وأنانيته ورفضه الإنفاق على زوجته وأبنائه رغم ثروته التى تُقدر بالملايين!

١٦- الغيرة الجنونية للزوج ويطلق عليها الأطباء النفسيون بأنها مرض.

١٧- دكتاتورية الزوج وعدم تقبله لأى حوار أو مناقشة.

١٨- «الزوج النكدى» وقد نشرت الصحف أن إحدى الزوجات قد انتحرت بسبب زوجها «النكدى»!!

وقد وجدت الدكتورة ليلى حالات كثيرة من العنف الأسرى فى صحف التحليل، وفى الغالبية العظمى يكون فيها الزوج هو الجانى بينما المجنى عليها هى الزوجة. وحالات أخرى لجرائم الأبناء ضد الآباء وجرائم

الوالدين ضد الأبناء وغيرها من الجرائم التى وصلت إلى صلة الرحم!

ومن أمثلة ذلك: الزوج الذى قتل زوجته بالرغم من المدة القليلة جدًا التى مرت على زواجهما، وهى شهور، وقد علل ذلك بأن عروسه كانت «وش فقر» ولم تقدر ظروفه المادية الصعبة وأثقلته بطلباتها التى لا تنتهى أبدًا!!

وجريمة أخرى قتل فيها الزوج زوجته لشكه فى أخلاقها وسلوكها، أو بسبب علاقات آثمة وغير مشروعة قامت بها - كما يرى الزوج - والبعض من الجرائم من هذا النوع يتضح أن الزوجة بريئة مثل النقّاش الذى قتل زوجته وبعد ذلك اتضح أنها مظلومة نظرًا لفقرها الشديد فكانت تقوم بالتسول أو العمل فى البيوت للإنفاق على أولادها فى حين أن الزوج النقاش كان دائم الشجار معها من أجل شراء المخدرات!!

وفى حالة أخرى قام فيها الزوج بقتل زوجته ثم اتضح بعد ذلك أنه يعانى من وسواس قهرى!!

وهناك جرائم أخرى لابن يعتدى على والدته بالضرب المبرح حتى تتوفى، وزوجين يقتلان ابنتهما لأنها اشترت بعض الأشياء والأطعمة من البقال بالآجل!!

وقيام عامل بقتل شقيقة زوجته لرفضها إقامة علاقة غير مشروعة معه!

وبلطجى يهدد زوجته بـ «قرن الغزال» بعد زواجهما بشهرين فقط ليجبرها على التوقيع على شيكات والتنازل عن حقوقها!!

وعن مشاكل الفتيات المراهقات تقول الدكتورة ليلى عبد المجيد: إن أهم هذه المشاكل كما طرحتها الصحف خلال فترة التحليل هى:

- الزواج العرفى بحثًا عن الحماية، أو التورط فى علاقة عاطفية وما يترتب على ذلك من آثار سيئة كهروب الزوج ورفض الاعتراف بأطفاله من هذه العلاقة.

- الانحراف والتورط فى الإتجار فى المخدرات لتدبير نفقات المعيشة

أو الرغبة فى الثراء السريع، والتورط فى أعمال منافية للآداب.

- الإدمان للمخدرات بجميع أشكالها وأنواعها كالبانجو.

- التأثير السيئ على الأبناء من جراء انفصال الوالدين، أو غياب الأب لسفره للعمل فى الخارج أو زواجه من أخرى!

- غياب المتابعة والرقابة الأسرية بالنسبة للفتيات المغتربات خاصة اللاتى يُقمن فى بيوت المغتربات. وطرحت فى هذا الصدد بعض الشكاوى الخاصة من عدم قبول الطالبات اللاتى لا يحصلن على تقدير جيد على الأقل فى المدن الجامعية التى تخضع لإشراف إدارات الجامعات.

- التأثير السيئ لعنف الآباء ضد الأمهات على نفسية الأبناء.

- بالإضافة إلى هروب بعض الفتيات من بيت الأسرة نظرًا لإجبارهن على زيجات لا يرونها.

- ضعف شخصية بعض الآباء - بعد انقضاء عصر سى السيد - وتسلط بعض الأمهات وسوء معاملتهن للأب مما يؤثر بشكل سيئ على البنات.

كذلك نتيجة غياب الحوار الأسرى فى أغلب البيوت المصرية اتجهت بعض البنات المراهقات لإقامة علاقة خاصة مع شباب عن طريق الإنترنت «لغة العصر»!

وترى الدكتورة ليلى أيضًا أن من مظاهر المشكلات الأسرية شكاوى الأزواج من زوجاتهم والتى تمثلت فى: الزوجة النكدية العصبية دائمة الشجار بسبب أو بدون سبب! مما يؤدى ذلك إلى اختلال التوازن والاستقرار الأسرى، قد يكون ذلك نتيجة حالة الملل والرتابة والضيق التى تعيشها الزوجة فلا تشعر بالسعادة.

أو قد يتهم الزوج زوجته بذلك كذريعة أو حجة للهروب من المنزل والسهر خارج المنزل والتهرب من مسئولياته المتعددة.

أو الزوجة التى تهجر بيت الزوجية لتعيش مع عشيقها.

أو اعتداء زوجة على زوجها بالضرب وطرده من بيت الزوجية!

أو إقامة علاقات غير مشروعة من قِبَل الزوجة وهى على ذمة زوجها!!

مثل الزوجة التى أقامت علاقة غير مشروعة مع جارها - صديق الزوج - الذى كان يغدق عليها بالهدايا والأموال!!

وقيام زوجة أخرى بالزواج عرفيًا للمرة الثانية وهى مازالت على ذمة زوجها الأول!!

أو قيام زوج مغلوب على أمره - بالانتحار بسبب رفض الزوجة العودة إلى المنزل وإصرارها على الطلاق!!

كما توصلت دراسة د. ليلى إلى وجود بعض المشكلات العائلية المتعلقة بعلاقة الزوجة بأسرتها وأسرة زوجها ومن ذلك:

- تسلط الحماة - خاصة التى تعيش معها زوجة ابنها - وهيمنتها على كل أمور المنزل وتجاهلها للزوجة.

- تدخل أم الزوجة فى حياتها الزوجية مما يؤدى إلى إفسادها.

- الورثة الذين ينكرون نسبة أبناء شقيقهم المتوفى إليه طمعًا فى الميراث.

- الخلافات بين الأرملة وأشقاء زوجها المتوفى حول الميراث!

- استسلام الزوج لجبروت زوجته القاسية وطرد أمه من المنزل إلى الشارع!!

وتقول أيضًا: إن هناك العديد من مشكلات الحياة اليومية التى ينعكس أثرها على الأسرة المصرية، منها مثلا ما تناولته الصحف خلال فترة التحليل:

- ارتفاع الأسعار خاصة مع ثبات المرتبات وعدم توفر السلع الأساسية كالأرز والسكر والزيت، وسوء حال رغيف الخبز وعدم توفره مما نتج عنه عودة ظاهرة الطوابير أمام منافذ البيع للحصول على رغيف الخبز.

- غلاء المعيشة وزيادة مصروفات المدارس والدروس الخصوصية بما تشكله من عبء على الأسرة.

- ارتفاع تكلفة الخدمات خاصة الكهرباء والتليفون، وقد اشتكت بعض أو معظم الأسر من إصرار وزارة الكهرباء على ربط فاتورة الكهرباء بتكاليف التخلص من القمامة.

- بالإضافة إلى البطالة وتضاؤل فرص العمل وعدم القدرة على الزواج مما يصيب الشباب من الجنسين بالإحباط والاكتئاب.

وناهيك عن أخطار المشكلة السكانية. وكل هذه العوامل تؤدى إلى زيادة المشكلات والعنف الأسرى داخل المجتمع المصرى.

وفى دراسة سميحة نصر[1] عن «جرائم العنف عند المرأة» والتى استهدفت التعرف على الملامح العامة لجرائم العنف لدى المرأة فى المجتمع المصرى من خلال التوصيف النظرى لنوعيات جرائم المرأة فى ضوء البيانات الإحصائية الرسمية المتوفرة من مصلحة الأمن العام بوزارة الداخلية من عام ١٩٨٤ إلى ١٩٩٣، وكشف البحث ارتفاع نسبة جرائم العنف فى محافظات الوجه البحرى بنسبة ٤٢,٣٪ من جملة الجرائم تلاها محافظات الوجه القبلى بنسبة ٣٤٪ من جملة الجرائم. كما بلغت نسبة الجرائم فى محافظتى القاهرة والإسكندرية ٢٠,٣٪ خلال الفترة من ٨٤-١٩٨٩ وانخفضت إلى ١٥,٧٪ عام ١٩٩٣ .

وفى دراسة مها الطرابيشى [2] عن «أثر التعرض لوسائل الاتصال على سلوك العنف والجريمة لدى المرأة المصرية» والتى أكدت على أن دوافع الجريمة لدى المرأة كثيرة فى مقدمتها دافع الحصول على المال، ثم الدافع الخاص بقلة الوازع الدينى.

---

(١) سميحة نصر: «جرائم العنف عند المرأة» القاهرة المجلة الجنائية القومية، المجلد التاسع والثلاثون العدد الأول، مارس ١٩٩٦ .

(٢) مها الطرابيشى: «أثر التعرض لوسائل الاتصال على سلوك العنف والجريمة لدى المرأة المصرية»، دراسة ميدانية، مجلة البحوث الإعلامية، العدد الحادى عشر، يوليو ١٩٩٩.

وفى المركز الثالث جاء دافع عدم وجود قدوة ومثل أعلى، ثم الضغوط النفسية فى الترتيب الرابع كأحد دوافع ارتكاب المرأة للجريمة، ثم بعد ذلك دافع الوسط الاجتماعى المحيط، أو البيئة المحيطة بها - فى الترتيب الخامس وفى الترتيب السادس جاء دافع الفراغ ثم الخلافات الأسرية، وأخيرًا جاء دافع الثأر للكرامة.

لذلك وكما توضح المؤشرات السابقة أن الدوافع المادية والاقتصادية كانت أحد المحكات وراء تنفيذ المرأة المصرية للجريمة تلاه الدوافع الثقافية الخاصة بالمتغيرات النفسية والسيكولوجية والأسرية.

الأسرة فى الإسلام

مما لا شك فيه أن أحكام شريعة الإسلام تهدف إلى تحقيق مصالح الناس الدنيوية والأخروية، وقد نظم الإسلام هذه المصالح إما بأحكام تفصيلية فى الأمور التى علم الله عز وجل أن التفصيل مطلوب فيها لتوقف المصلحة على هذا التفصيل فى كل عصر، وإما بأحكام على هيئة قواعد عامة منظمة للمجال الذى وردت فيه، ومتروك للناس فى كل عصر أن ينظموا شئونهم فى إطار هذه القواعد بما يتلاءم مع ظروف العصر. والأسرة هى اللبنة الأساسية فى المجتمع الإسلامى ولذلك يعطيها الإسلام اهتمامًا خاصًا، وفى ذلك المجال توجد مبادئ معينة تحكم الأسرة والزواج وهى:

مبدأ السكن فى الأسرة:

قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (سورة الروم/ ٢١). حيث ينطوى هذا اللفظ الكريم على معانى السلام والتوافق والسعادة، لذا فالسكن والاطمئنان النفسى هو أحد مقاصد الزواج، وحتى يتحقق السكن والاطمئنان النفسى فى حياة الأسرة فمن الضرورى أن تربط المودة والتعاطف والرحمة بين الزوج وزوجته. فالقبول من قبل الطرفين والتفاهم والسلام والتوافق والسعادة فى الحياة الزوجية على نحو ما يصورها الإسلام قد لا تتحقق إلا إذا أدرك الزوجان معنى كلمة الزواج بصورة كاملة، وأنها حياة جديدة لا تقتصر على المتعة الجنسية فقط ولكنها تنطوى على مسئوليات كبيرة أيضًا. فإذا أقدم أى شخص على الزواج دون قدرة على توفير المتطلبات اللازمة له فإنه سيكون من الصعب تحقيق السكن والطمأنينة المأمولين، بل سوف يحدث العكس وستزداد الصعوبات بزيادة الأعباء ومسئوليات الإعالة مع كثرة المواليد ومن ثم ستكون أشد وأثقل، خاصة فى ظل الظروف الصعبة التى يعانى منها المجتمع من ركود اقتصادى وبطالة متزايدة بين الشباب، وعدم تنوع موارد الدولة لإشباع متطلبات وحاجات أكثر من ٧٠ مليون نسمة فى مطلع القرن الواحد والعشرين.

مبدأ حسن تربية الأولاد:

حيث يبرز الإسلام أهمية تربية الأولاد حتى يصبحوا أولادًا صالحين وأن يكونوا «ذرية طيبة» ولتحقيق ذلك ينبغى أن يتسلح الأبوان بالقدرة على تنشئة أولادهما وتربيتهم. ويؤكد الإسلام أن للأولاد حقوقًا يجب أن يفى بها الوالدان منها: التربية الخلقية، وتعلم ما هو ضرورى من أمور الدين والدنيا والترفيه والأمان وتوفير أسباب المعيشة، ومن أهم ما يوصى به الإسلام العدل بين الأولاد، ويقرر هذا المبدأ قول رسول الله

ﷺ: «واتقوا الله واعدلوا بين أولادكم» [1].

مبدأ توفير ما يشبع حاجات الأسرة بالقدر المعقول:

فتحقيق السكن والطمأنينة النفسية للأسرة يتطلب السعى إلى راحتها من الناحية الاقتصادية. ويوجهنا الإسلام إلى أن على كل أسرة أن تعمل على تحسين أحوال ذريتها وألا تتركهم ضعافًا مما يعرضهم للمعاناة فى مستقبل حياتهم ويمكن أن نفهم هذا المعنى من قول رسول الله ﷺ لسعد بن أبى وقاص عندما أراد أن يتبرع بماله كله أو نصفه: «الثلث، والثلث كثير إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس» [2].

هذا وقد نظم الإسلام كافة أنواع السلوك الإنسانى بأحكام مبينة فى القرآن الكريم أو فى السنة النبوية الشريفة أو ما استخلص منها من قواعد عامة تصلح لبيان الأحكام فى كل ما يدخل تحتها من قضايا.

والانحراف يعرف على أنه «الخروج عن المعايير الاجتماعية أو الأهداف العليا للمجتمع سواء من جانب الأشخاص أنفسهم أو النظم الاجتماعية أو التنظيمات المجتمعية».

وبناء على هذا التعريف، فالانحراف ينطوى على الفعل وانعدام الفعل فى نفس الوقت والمقصود بانعدام الفعل عدم أدائه فى اللحظة المناسبة، إذ إن السلبية، واللامبالاة، والفتور، والانعزالية تعتبر مظاهر للانحراف الذى ينطوى على انعدام الفعل. والخروج عن المعايير الاجتماعية هو الذى يمثل - عادة - سلوكًا يجرى على مستوى الأشخاص أو الجماعات، وفى مقابل ذلك، يشير الخروج عن الأهداف العليا للمجتمع إلى انحراف على مستوى النظم الاجتماعية والتنظيمات.

---

(١) الحديث رواه البخارى ومسلم والإمام أحمد- واللفظ هنا للبخارى وأوله: "اتقوا الله" من الحديث.

(٢) الحديث رواه البخارى ومسلم والبيهقى.

فى مجال الأسرة، نجد أن أهم مظاهر الانحراف فيها وجود مواقف تقلل فيها مظاهر الإشباع العاطفى والوجدانى، بين الزوجين بوجه خاص، وأفراد الأسرة بوجه عام أو انخفاض درجة الاعتماد المتبادل بينهم،، أو عدم الحاجة إلى الاشتراك فى أداء الإشباع المتبادل أو فى اتخاذ القرارات المتصلة بالأسرة.

وقال سيد الخلق «رسول الله ﷺ» فى حديث شريف يحث على مسئولية كل فرد عن كل ما هو موكول به أو مسئول عنه فقال: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته».

فرب البيت المهمل ليس جديرًا بالتكريم، وسوف يُحاسب على إهماله وسوء رعايته لبيته وأسرته. والمرأة كذلك. ومن ناحية أخرى المرأة المهتمة بولدها الحريصة على مستقبله أجدر بالاحترام.

وقال الإمام محمد الغزالى المفكر الإسلامى الكبير الراحل - رحمه الله - فى كتابه «كنوز من السنة» بإن الزواج شركة أدبية تقوم على الأمانة والوفاء قبل أن تقوم على الطعام، فلن يسبق عند الله رجل لأنه رجل ولن تتأخر امرأة عن ذلك لأنها امرأة!!

وقد ثبت أن البيت الذى تسوده الفوضى والشراسة ينبت ذرية سيئة قد تنحدر إلى الجريمة والاعوجاج، فعلى الرجل أن يكون حسن القوامة وعلى المرأة أن تكون حسنة الانقياد. فليست الزوجية للإنجاب المجرد فتلك وظيفة حيوانية، وإنما الزوجية لإنشاء أجيال أنضر وأطهر! ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِدًا﴾ (سورة الأعراف/٥٨).

وقد تعجب العالم كله إلى الفتح الإسلامى الأول لغرب آسيا وشمال إفريقية لقوته وسرعته وآثاره الباقية، وكان حقًا عليه أن يبحث عن الأسباب وراء ذلك وحقيقة الأمة التى بعثت هذه الجيوش وتماسك مجتمعها وصلابة تقاليدها!

إن المسلمين الذين اصطبغوا بعقيدة التوحيد احترموا كل الاحترام نظام الأسرة وجعلوا من الأبوة والبنوة والعمومة والخؤولة كهفًا تأوى إليه الأخلاق وتستقر عليه العادات.

فالأب والأم ليسا مسئولين عن الإطعام والحماية فقط إذ إنهما مسئولان عن العبادات والفضائل والتعليم والتربية.

إن الأسرة أساس الامتداد بين الأجيال السابقة واللاحقة وعلى تعاونها تتحول القرابة إلى إيمان واضح وعمل صالح، وكان اهتمام الإسلام بشئون الأسرة فريدًا فى بابه عندما تدخل الإسلام فى التنقل بين حجرات البيت الواحد ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلاةِ الْعِشَاءِ﴾ (سورة النور/ ٥٨).

وتعاليم الكتاب والسنة فى تنظيم الأسرة باب واسع، فبعد توحيد الله يوقر الوالدان ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (سورة النساء/٣٦).

ويوصى النبى أرباب الأسر فيقول عليه الصلاة والسلام: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم وهم أبناء عشر - ضرب تعليم لا ضرب إيذاء وتحقير - وفرقوا بينهم فى المضاجع - أى لينم كل منهم وحده» رواه أبو داود بإسناد حسن.

وأفراد الأسرة ليسوا الإخوة والآباء فقط إنهم الأقارب جميعًا، وحق على المرء أن يصلهم ويحرص على زيارتهم وإذا أحس جفوة من أحدهم فلا يكترث بها بل يبقى على وده..

فعن عبد الله بن عمرو عن النبى ﷺ: «ليس الواصل بالمكافئ - أى الذى يعطى على قدر ما أخذ، ويتحرك بقدر حركة صاحبه - ولكن الواصل الذى إذا قطعت رحمه وصلها» رواه البخارى.

كما أن الإيمان والفضيلة متلازمان وفى الحديث «أكمل المؤمنين

إيمانًا أحسنهم خلقًا وخياركم خياركم لنسائهم» رواه الترمذى.

ويقول أيضًا الإمام الغزالى - رحمه الله - إن روابط الأسرة من دعائم المجتمع الدينى، وقد رأيت الملاحدة يجحدون هذه الروابط، وفى أوربا وأمريكا يستقل البنون والبنات بأنفسهم فى مرحلة اليفاعة والبلوغ، وتعترض حياتهم مباذل ومهازل لا حصر لها، وهم يريدون أن نتبعهم إلى هذه الهاوية!

الدكتورة زينب رضوان عميد كلية دار العلوم - جامعة القاهرة فرع الفيوم تقول: إن التشريع الإسلامى يولى الأسرة اهتمامًا كبيرًا ويعدها النواة التى تنبثق عنها جميع العلائق البشرية، ويعطيها من العناية ورعاية الحقوق والحرص على حمايتها من التفكك والانحلال والدمار ما لم تعطه لها شريعة أخرى.

حيث شرع الإسلام الزواج وجعله الأساس الذى تتحدد فى ضوئه علاقة الرجل بالمرأة، وأرسى به الخطوة الأولى فى البناء الذى ينظم من خلاله الأسرة. مما يوضح حرص الشارع الحكيم سبحانه وتعالى على ضمان نقطة البداية هذه لخطورتها وأهميتها فإنه لم يتركها للناس ليقيموا قواعدها ويضعوا نظامها وأحكامها، بل تولاها سبحانه وتعالى فوضع لأطرافها - الزوجين - دستورًا للحياة الزوجية ومنهجًا لعلاج عثراتها، وطالبهما بالسير وفقًا لأحكامه وقواعده، وانتظام الأسرة على النحو المخطط لها من الله سبحانه يجعلها مصدرًا من مصادر تحقيق الأمن والاستقرار النفسى لأصحابها.

وتضيف الدكتورة زينب: إن كون التشريع الإلهى هو مصدر تنظيم هذه الحياة فإنه يضفى عليها مسحة من القدسية تجعل أفرادها يشعرون بأنهم مرتبطون برباط يظلله الدين فى كل خطوة فيقيمون أحكامه عن رضا واختيار وطيب نفس.

إلا أنه من الملاحظ أن الكثير من الأسر فى مجتمعنا تجهل هذا

الدستور وذاك المنهج مما يعرضها للتخبط فى مسيرة الحياة وفقدان الاستقرار النفسى والأمان المنشود، وقد يصل الأمر إلى الانهيار الكامل للبناء الأسرى.

لذلك كان من الضرورى إعلام كل أفراد المجتمع بهذا الدستور لنضمن قيام الأسر واستمرارها على نحو صحيح يحقق الخير لأفرادها وللمجتمع. ولنعاون الأسر المعرضة للانهيار فى الإقالة من عثرتها ومساعدتها على الحياة السليمة مادامت تملك الرغبة فى الاستمرار.

وتقول أيضًا الدكتورة زينب رضوان فى دراستها الهامة المنشورة بالمجلة الجنائية القومية[1] : إن استقرار الحياة الزوجية غاية من الغايات التى يحرص عليها الإسلام، وعقد الزواج إنما يعقد للدوام فى المعيشة إلى أن تنتهى الحياة ليتسنى للزوجين أن يجعلا من البيت مهدًا يأويان إليه وينعمان فى ظلاله الوارفة وليتمكنا من تنشئة أولادهما تنشئة صالحة.

ومن أجل ذلك كانت العلاقة أو الصلة بين الزوجين من أقدس الصلات وأوثقها على الإطلاق. والدلالة العظمى على قدسيتها أن الله سبحانه سمى العهد بين الزوجين بالميثاق الغليظ فقال: ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ (سورة النساء/ ٢١).

لذلك لا ينبغى الإخلال بهذه العلاقة ولا التهوين من شأنها لأنها أمانة سوف نسأل عنها يوم القيامة.

أما بالنسبة لأسباب الشقاق بين الزوجين يرجع فى الغالب الأمر إلى ما أسماه القرآن الكريم بنشوز أحد طرفى العلاقة أو كليهما..

وتقول الدكتورة زينب رضوان بأن كلمة نشز تعنى الخروج عن القصد أو الخروج عن القاعدة، ويقال نشزت النغمة عن مثيلاتها أى نبت

---

(١) المجلة الجنائية القومية، المجلد الحادى والأربعون، العدد الأول، مارس (١٩٩٨).

وخرجت عن قاعدتها، ونشزت الزوجة أو نشز الزوج يعنى استعصى وأساء العشرة.

وتُعرّف الدكتورة زينب رضوان أساء العشرة بأنها «الإخلال بما قرره الشرع لكل منهما من حقوق وواجبات تجاه صاحبه، وعدم معرفة كل من الزوجين لحقوقه الشرعية وواجباته وحقوق زوجه تقف وراء كل المشاحنات والخلافات التى تنشأ بينهما، وتجعل أحدهما يتجاوز الحدود المقررة على حقوق الطرف الآخر أو ينتقص منها».

وترى أنه لا بد أن يعرف كل من الطرفين حقوقه وحقوق الطرف الآخر، لأن هذه المعرفة سوف تكون مانعًا قويًا يضع الخلافات بينهما فى أضيق نطاق ممكن إن لم يساعد على اختفائها.

ويقول محمد أبو زهرة فى كتابه «تنظيم الإسلام للمجتمع»: إن للزوج على زوجته حقًا فى ألا تخرج من بيته إلا بإذنه، ولها أن تزور أبويها كل أسبوع، ولو لم يأذن، لأن ذلك من صلة الرحم وهى واجبة وتركها عصيان ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق.

ومن حقوق الزوج على زوجته أن تحفظه فى ماله وعرضه حال وجوده وغيبته، فمن حق الزوج ألا تُدخل الزوجة بيته أحدًا يكرهه إلا بإذنه.

وأيضًا للمرأة أن تحفظ زوجها فى سمعه وبصره فلا يسمع منها إلا ما هو جميل ولا يرى إلا ما هو جميل ولا يشم إلا ما هو جميل.

وتقول الدكتورة عبلة الكحلاوى أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية البنات جامعة الأزهر: إن الله سبحانه وتعالى أودع سر الخلق فى مشيئته المتمثلة فى الذكر والأنثى لينبثق منهما ما يعمر به الكون حتى تقوم الساعة، وجعل سبحانه الزواج وئامًا يوحد بين قلبى الرجل والمرأة، ويمزج بين روحيها وبدنيها فى معزوفة مطهرة نقية تكفل الأمن والأمان، وتشيع الطمأنينة والوئام،، وتسد منافذ التغالب على الأعراض، والتدنى

إلى درك العجماوات الهائمة إذا ما اشتعلت الرغائب، واشتد سعارها.. فلا تستبين فى غمرة أجيجها حتى أبناء الرحم الواحد، بل تخدش فى بربرية وقار الأصول من آباء وأجداد دونما شفاعة لدموع وتوسلات واستغفار لرضاع وتربية وولاء.

وتضيف: إن الأسرة تقوم على دعائم ثابتة لا تتغير فى كل مرحلة من مراحلها، وأولى هذه المراحل هى مرحلة الاختيار، والنظرية الإسلامية فى الاختيار تبدأ من منطلق إيمانى، وأساس المفاضلة التقوى لتنتهى بضمان اتباع التكليفات، وبلوغ المقصود من الزواج.

ومن أبرز التوجيهات الإسلامية فى هذه المرحلة، ما قاله رسول الله ﷺ «تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك»، ومنها: «من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه فليتق الله فى الشطر الثانى».

ومنها «من تزوج امرأة لعزها لم يزده الله إلا ذلا ومن تزوجها لمالها لم يزده الله إلا فقرًا، ومن تزوجها لحسبها لم يزده الله إلا ذلا، ومن تزوج امرأة لم يرد بها إلا أن يغض بصره، ويحصن فرجه، أو يصل رحمه بارك الله له فيها وبارك لها فيه».

ومنها أيضًا:

«لا تتزوجوا النساء لحسبهن فعسى أموالهن أن تطغيهن ولكن تزوجوهن على الدين ولأَمَة خرماء سوداء ذات دين أفضل».

ومنها «من سعادة ابن آدم ثلاثة، ومن شقوة ابن آدم ثلاثة. من سعادة ابن آدم المرأة الصالحة، والمسكن الصالح، والمركب الصالح، ومن شقوة ابن آدم المرأة السوء، والمسكن السوء، والمركب السوء».

ومنها أيضًا: «إياكم وخضراء الدمن»، وعندما سُئل رسول الله ﷺ عن خضراء الدمن قال: «المرأة الحسناء فى المنبت السوء» صدق رسول الله ﷺ.

ويقول الأمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر: إن

الإسلام دعا من قبل ويدعو دائمًا للحفاظ على الأسرة، وقد أعلا الإسلام من شأن المرأة ومكانتها وأثنى عليها بما تستحق من تكريم وشملها فى جميع تشريعاته بالرحمة والعدل والبر والرعاية، وسوّى بينها وبين الرجل فى معظم شئون الحياة، منها المساواة بينهما فى أصل الخلقة والمساواة فى التكاليف الشرعية وفى الحقوق المدنية، وفى طلب العلم والمعرفة، والمساواة فى وجوب القيام بالعمل الصالح، والمساواة فى تحمل المسئولية وفى الكرامة الإنسانية وأصل التوارث(1).

من كل العرض السابق نستخلص ما يلى:

١- ضرورة اتباع تعاليم الشريعة الإسلامية فى كل سلوك من سلوكياتنا بصفة عامة وفى عملية الاختيار للزواج بصفة خاصّة وتكوين الأسرة حتى نستطيع وضع الأساس القوى والمتين للبناء الأسرى، وحتى يتسنى لنا الحفاظ على نواة المجتمع واللبنة الأساسية له وهى الأسرة.

وقد صدق الله سبحانه وتعالى حينما قال: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (سورة الروم/ ٢١).

٢- ضرورة التمسك بعاداتنا وتراثنا وقيمنا وأخلاقياتنا الشرقية المحافظة، والبعد عن التقليد الأعمى القادم إلينا من دول الغرب لا سيما أمريكا التى أصبحت رمزًا للقوة الغاشمة والعدوان والعنف والبلطجة وفرض الرأى بالقوة على أى دولة من الدول!

٣- ضرورة تفعيل توصيات علماء النفس والاجتماع فى تفسيرهم للظواهر الإجرامية الأسرية التى نراها أو نشاهدها أو نقرأها عبر الصحف ووسائل الإعلام والتى تقع فى قلب الأسرة مثل جرائم قتل

---

(١) د . محمد سيد طنطاوى، من مظاهر تكريم الإسلام للمرأة، المجلس القومى للمرأة، من ص٤ إلى ص ١١ .

الأبناء للآباء، وقتل الآباء والأمهات للأبناء، وظواهر مثل زنا المحارم وغيرها من الظواهر البشعة والغريبة عن مجتماعتنا الشرقية العربية التى تعتبر فيها الأسرة نواتها ولبنتها الأساسية.

٤- ضرورة تفعيل ميثاق الشرف الصحفى فيما يتعلق بمراعاة أخلاقيات النشر الصحفى لمواد الجريمة والحوادث والمشكلات بصفة عامة، والجرائم الأسرية بصفة خاصة. مثل عدم التدخل فى الخصوصيات، والتعمد فى تشويه مرتكبى هذه الجرائم من أجل تحقيق الإثارة الصحفية والجذب لتوزيع الجريدة على حساب سمعة أفراد قد يكونون مظلومين، وعدم الأخذ بقاعدة «المتهم برىء حتى تثبت إدانته» بل يصل الأمر فى كثير من الأحوال إلى إصدار الأحكام العلنية وبكل قسوة دون انتظار حكم القضاء النهائى، وعندما تظهر براءة المتهم ترفض أو تتقاعس أو تتجاهل الصحافة نشر هذه البراءة، وإن نشرتها - وهذا نادر الحدوث - فتكون فى مساحة صغيرة جدًا لا تتفق مع المانشتات المكتوبة عنه أثناء محاكمته من قبل القضاء!

٥- التفكير دائمًا فى أنه مهما طال عمر الإنسان على وجه الأرض فعمره قصير جدًا، فهو ميت لا محالة ومفارق لهذه الدار الفانية فى أى وقت محدد فيه أجله وعمره، فينبغى عليه اغتنام هذه الأيام والساعات القليلة فى الأعمال الصالحة وتقوى الله لأنه خير زاد لنا فى الآخرة الباقية.. فكل عمل لا بد أن يكون خيرًا نبتغى به مرضاة الله وكل قول أو سلوك أو حركة أو حتى الهواء الذى نستنشقه لا بد أن يكون خيرًا وبعيدًا عن معصية الله حتى ننعم بالخير فى الدنيا والثواب العظيم فى الآخرة.

ربنا بك آمنا وعليك توكلنا وإليك المصير.

المصادر

١- جعفر عبد السلام، الإطار الشرعى للنشاط الإعلامى، بحث مقدم إلى ندوة «الإعلام بين تحديات الواقع وطموحات المستقبل» جامعة الأزهر، ١٩٩٢ .

٢- عبد العظيم خضر، معالجة الصحافة المصرية لأخبار الجريمة، رسالة دكتوراه، غير منشورة، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، ١٩٩٦ .

٣- محمد فريد محمود، بحوث فى الإعلام الإسلامى، ط١، (جدة: دار الشروق)، ١٩٨٣ .

٤- عبد الصبور فاضل، أساليب تقويم الأداء الصحفى فى المجتمع الإسلامى، كلية اللغة العربية، رسالة دكتوراه، غير منشورة، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية، ١٩٩٣ .

٥ - جون هونبرج، الصحفى المحترف، ترجمة مشيل تكلا، الكتاب الثانى، سلسلة الألف كتاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧ .

٦ - محمد عبد القادر حاتم، الأخلاق فى الإسلام، (القاهرة: مكتبة الأسرة، ٢٠٠٢).

٧ - فتحى حسين أحمد عامر، أخلاقيات الصحافة فى نشر الجرائم، ط١ (القاهرة: دار إيتراك للنشر، ٢٠٠٦).

٨ - محمود صلاح، ريا وسكينة، (مدبولى الصغير، القاهرة: ١٩٩٣).

٩ - فاطمة مصطفى، فى بيتنا قاتل تحت التمرين، بدون ناشر، القاهرة، ١٩٩٦.

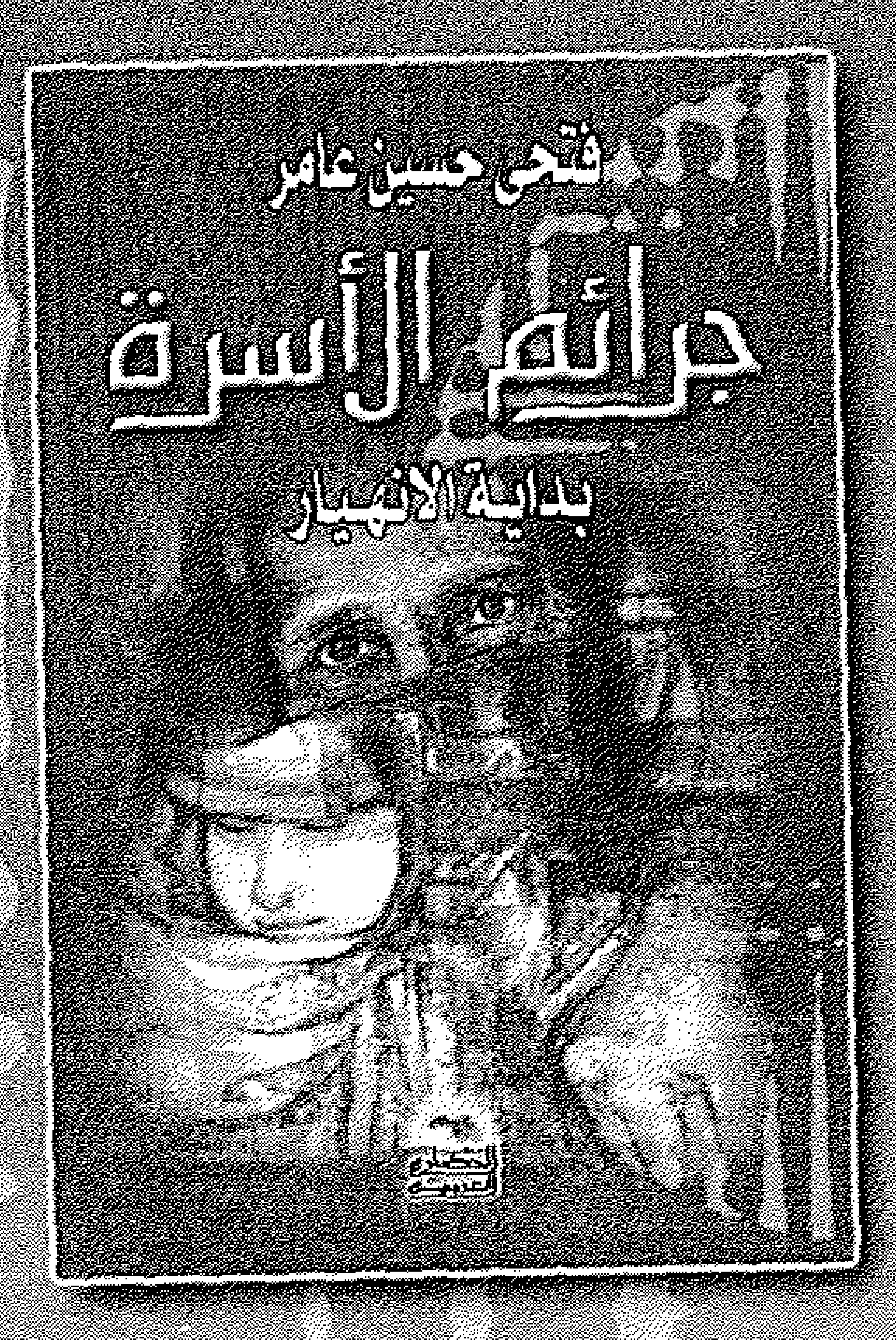
الفهرس

المؤلف فى سطور

- فتحى حسين أحمد عامر.
- حاصل على ليسانس آداب شعبة إعلام واتصال عام ١٩٩٩.
- حاصل على ماجستير فى الإعلام بتقدير ممتاز عام ٢٠٠٥.
- يقوم حاليًا بإعداد رسالة الدكتوراه فى الإعلام.
- عضو نقابة الصحفيين.
- عمل فى جريدة الأحرار، وجريدة روز اليوسف، ومجلة شاشتى، وجريدة الحياة اللندنية، ورئيس قسم المتابعات بجريدة «العمال».
- عمل كباحث إعلامى فى مركز الرأى العام بجامعة القاهرة عامى ٢٠٠٤/٢٠٠٥ حتى الآن.

صدر له:

- أخلاقيات الصحافة فى نشر الجرائم، دار ايتراك، ٢٠٠٥.
- جرائم الأسرة.. بداية الانهيار، مركز الحضارة العربية، ٢٠٠٦.
- الصحافة الخاصة فى مصر، مركز الحضارة العربية، ٢٠٠٦.
- هموم وأوجاع فى بلاط صاحبة الجلالة، مركز الحضارة العربية، ٢٠٠٦.



والجريمة ظاهرة اجتماعية عالمية لا يكاد يخلو منها أى مجتمع إنسانى، وهى تتنوع من حيث طبيعتها وأشكالها وأنواعها ومن حيث الأساليب المستخدمة فى ممارستها - من مجتمع إلى آخر، ومن وقت إلى آخر - تبعًا لتنوع الظروف والأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وغيرها.

وتعتبر الأسرة من أهم الجماعات الإنسانية وأعظمها تأثيرًا فى حياة الأفراد والجماعات، فهى الوحدة البنائية الأساسية التى تنشأ عن طريقها مختلف التجمعات الاجتماعية.. وهى التى تقوم بالدور الأساسى والرئيسى فى بناء صرح المجتمع وتدعيم وحدته وتنظيم سلوك أفراده بما يتلاءم مع الأدوار الاجتماعية المحددة وفقًا للنمط الحضارى العام.

والإجرام الأسرى هو تلك الأنماط الحديثة التى
إليها الظاهرة الإجرامية داخل النطاق الأسرى الواحد،
ما يستجد فى الحياة الاجتماعية من ظروف وما يطرأ
من متغيرات تترك آثارها فى الجريمة، فتغير من شكل
وسائل إتمامها.

ويتناول هذا الكتاب عددًا من الحوادث والجرائم
التى نشرتها الصحف والمجلات المصرية، والتفسير
لمسبباتها، وطرق الحد منها ومن خطورتها على الم
ونواحى التنمية فيه.

مركز الحضارة العربية